روايات عبير

المرأة الضائعة

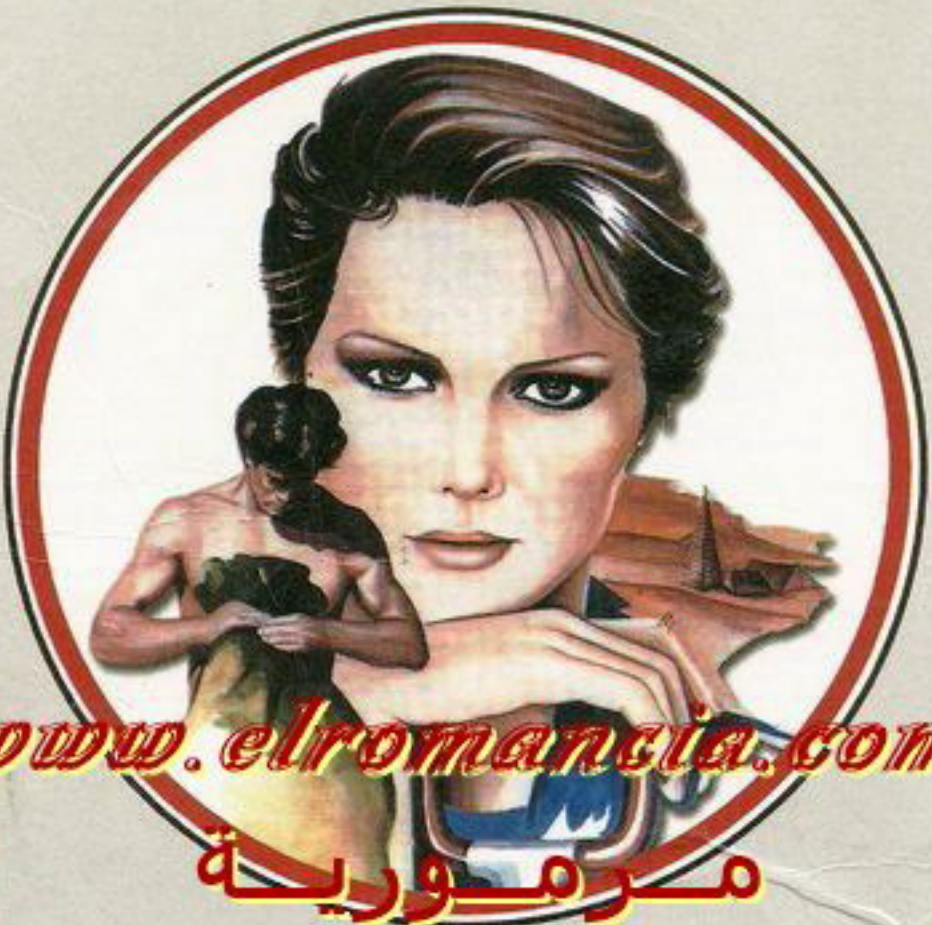

www.elromancia.com

مـــرمـــوريـــة

Stéphanie BONTEMPS

N° 608

روايات عبير

تدخل "شارون" على "كونال" في مكتبه لتطلب منه أن يمنحها أسبوعين من وقته حتى تصبح حاملا.

يشعر الرجل بالحيرة والدهشة من هذا الطلب الغريب الذي لم تعرضه أي امرأة على رجل من قبل، تصر المرأة على طلبها وهي تطالبه بتنفيذ وعد جده الذي ينص على تنفيذ أي رغبة للسيدة التي تحمل نص هذا الوعد.

ما سر طلب هذه المرأة؟ هل ترغب حقا في الإنجاب من هذا الرجل على الرغم من فشل علاقتهما قبل ذلك؟ ما سبب إصرارها على أن تصبح حاملا منه ، هو فقط، وليس من أي رجل غيره؟ ما حقيقة الوعد الذي كتبه جده هذا؟ هل يوافق الرجل أم يرفض؟ وما مبرراته؟

ستتعرف على إجابات هذه التساؤلات لدى متابعتك لهذه الرواية المليئة بالأسرار ومواقف الحب الساخنة.

www.elbeiramet.com

ثمن النسخة

لبنان	٢٥٠٠ ل.	قطر	٨ ريال
سوريا	٧٥ ل.	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	مصر	٥ جنيه
السعودية	٨ ريال	المغرب	٢٠ درهم
الكويت	٧٥٠ فلس	ليبيا	١ دينار
الإمارات	٨ دراهم	تونس	٣ دينار
البحرين	٧٥٠ فلس	اليمن	٢٥٠ ريال
U.K.	2£		

ISBN 9953-424-84-5
9 789953 424842

شخصيات الرواية

"كونال ديفريل" : رجل أعمال ذو شهرة طاغية وسليل آل "ديفريل".

"شارون جراهام" : محاسبة تبلغ من العمر ثمانية وعشرين عاما.

"أماريلو سميث" : صديق "كونال".

"كاثلين" : ابنة عم "كونال".

www.elromancia.com
مـــر مـــوريـــة

الغلاف الأمامي

تاملت "شارون" الأفق، ولم تر إلا صورة الفتاة الصغيرة الخائفة في ليلة توارى فيها القمر.

– منذ عشر سنوات... في تلك الليلة التي قلت لي فيها: إن هذا الطفل لا يمكن أن يكون منك ذهبت إلى مستنزه عام، وجلست هناك عدة ساعات. ذرفت الدموع من عيني بشدة، ثم فكرت في طريقة للانتقام منك. لدى العودة إلى منزلي أعلمت والدي أنني حامل لكن والد الطفل لا يريد الاعتراف به.

المقدمة

"كمبردج" – "ماستيوشتس" ١٩٢٢

اخترق الضوء الرمادي للفجر حجرة "كلاريس هافيلند" عبر فتحات الستائر. كانت واقفة بالقرب من السرير وهي تغلق حزام روبها الطويل. كانت تكره بزوغ النهار. مازال أمامها وقت بسيط لتقضيه مع "جاك"!

تمتم صوت من تحت الغطاء:

– لماذا أنت واقفة هكذا؟

– استيقظت مبكرا ولم أستطع النوم.

استفهم "جاك ديفريل" –وهو يجلس على السرير ويفرك عينيه–:

– لماذا لم توقظيني أنا أيضا؟

– أردت أن تحصل على أكبر قسط من الراحة قبل امتحانك الأخير.

قال مازحا:

– تتكلمين وكأنك أم!

استدارت "كلاريس" حتى تخفي إحساسها بالحرج لكن الوقت قد فات.

– سامحيني، لم يكن هذا ما أقصد قوله..

قالت –حينما ضمها "جاك" إليه بعد نهوضه من السرير–:

– أعلم هذا.

همس قائلا في أذنها:

– قلت لك وكررت عليك أن عمرك غير مهم بالنسبة لي.

www.elromancia.com

– إنك تقول هذا كغزل ومجاملة. لكن هذا لن يغير من الأمر شيئا، إنني في الرابعة والثلاثين من عمري وأنت في الثانية والعشرين.

– لماذا تتحدثين عن هذا الآن؟ لقد عشنا معا منذ يوم وصولي إلى "هارفارد".

قالت بنبرة حنين:

– أتذكر هذا. رأيتك في هذا اليوم خلف الفترينة حينما أبديت إعجابك بالنماذج الأخيرة للقبعات التي صنعتها.

– كنت أحاول أن أشتري واحدة لأمي.

– واشتريتها جميعها لي!

– نعم. استخدمتها كذريعة لمقابلتك. كنت مضطربا في تلك الآونة حيث علمت أن "إدوارد ديفريل" هو والدي الحقيقي، وكان يجب أن أتخذ قراراً بالسماح لهذا الوغد أو عدم السماح له بأن يتبناني.

– وفعلت ذلك لكن بعد اتخاذ بعض الشروط. لقد فعلتها يا "جاك" وأنا فخور بك.

– نعم، والآن تلعبين أنت نفس اللعبة! لقد نجحت في الابتعاد عن مضمون حوارنا. ماسبب قلقك من اختلاف عمرينا؟

– لأنك ستحصل على الدبلومة في غضون عدة أيام ولأن "سوانسا" ستعود إليك ولابد أن تأخذ وضعك في الشركة وتبدأ حياتك الحقيقية كرجل.

– هذا صحيح، لكن الحياة التي أنوي عيشها ليست لها علاقة بالمشروعات التي يحتفظ بها "إدوارد ديفريل" لي. لقد منحني أغلى

شيئين في حياته: لقبه و"سوانسا" ليس حبا في أو في أمي ولكنه يأمل أن أحقق له أحلامه. لكن لسوء الحظ سيشهد كثيرا من الإحباطات التي لا يمكنه أن يتحملها.

سألت "كلاريس":

– و"سوانسا"؟

– ساستغلها لأجرحه.

– أعرف أن لهذه الشركة بريقا رائعا.

– إنها مجرد العوبة مغالى فيها يا عزيزتي. يمكنني أنا وأنت أن نلهو بها.

أجابته "كلاريس" والحب والندم يظهران على وجهها في نفس الوقت.:

– لا يا "جاك". حياتي هنا في "كمبرديج". إن منزلي هو الشقة التي أمتلكها. أعلى محلي. ساعيش بها بمفردي بعد رحيلك. بمفردي لكن في هدوء.

– لا، لن تكوني بمفردك! إذا لم تأتي لرؤيتي فسآتي أنا "سوانسا" ليست بعيدة وساقوم برحلات كثيرة إلى "بوسطن".

– تقول إنك ستأتي لكن..

قاطعها "جاك" قائلا:

– لماذا أنت تعيسة هكذا؟ أعلم ما سأفعله. ساعطيك شيئا. لا يهم الشيء نفسه. ساعطيك ما تريدينه وليس عليك سوى أن تطلبيه..

– لكنني لا أريد شيئا.

– إنني مُصر. إنك أعطيتني كل شيء!! لم أكن سأنتهي من

www.elromancia.com

دراستي في السنوات الأربع بدون مساعدتك. سأختار هديتك بنفسي.

– لن أقبلها يا "چاك".

سألها بدهشة:

– لماذا؟

– لأنه لا يوجد ما يعادل اللحظات الجميلة التي قضيتها معك. لن أنساك أبدا.

– إنك حمقاء يا "كلاريس"... إنني أعرف ما ينبغي أن أفعله!

جلس إلى مكتبه وأمسك بورقة وقلم وأخذ يخط بخطه المنمق.

كانت المرأة تنظر إليه في تلك الأثناء بإعجاب شديد. لم تكن تشك في أنه سيصبح رجلا فريدا. خطرت ببالها فكرة أنه سينجب أطفالا رائعين وشعرت بالغيرة من تلك المرأة التي ستحمل أطفاله.

بعد أن ذيل الورقة بتوقيعه أعطاها إليها.

اتعهد أنا "چاك كونال ديڤريل" بأن أقدم أي خدمة غير مشروطة إلى حاملة هذا الخطاب. إذا منعني أي شيء من أدائها فعلى ورثتي الالتزام بهذا الوعد.

كتبت في عام ١٩٢٢

"چاك كونال ديڤريل"

الفصل الأول

مبنى "ديڤريل" "بوسطن" – "ماستيوشتس" في أيامنا هذه.

قرأ "كونال ديڤريل" الورقة ثم رفع عينيه نحو المرأة الشابة الجالسة أمامه وقال:

– على قدر ما فهمت. فإنك تريدين مني أن أصدق أنه ينبغي علي الوفاء بهذا الوعد الذي قطعه جدي لأخت جدتك؟

أجابت "شارون جراهام" بهزة من رأسها:

– هذا صحيح.

– إنك تمزحين!

– مطلقا. لقد حرر جدك "چاك" هذا الوعد بالفعل لأخت جدتي "كلاريس".

– اسمحي لي بأن أشك في هذا.

– أؤكد لك أن هذه الورقة مكتوبة بخط يده. إذا لم تكن مصدقا يمكننا استدعاء خبير خطوط.

– الورقة تتحدث عن أخت جدتك وليس عن ورثتها..

– الورقة تقول: إن ورثته هو ملتزمون بالوفاء بعهده، ولابد أن تؤدى الخدمة إلى من تحمل هذه الورقة.

كان لابد أن يعترف "كونال" بأنها تتكلم بشكل صحيح لكنه ليس في حالة تمكنه من الإعجاب بفخامة أسلوب جده.

قالت:

– إنك تشتهر بنزاهتك في العمل. إنني متأكدة، إذن أنك ستحترم وعد جدك.

www.elromancia.com

وضع "كونال" يده على الورقة وثناها ببطء.

قالت المرأة الشابة:

– إنها مجرد نسخة.

تعجب بدهشة:

– لا تهمني إذا كانت نسخة أو مجموعة من مخطوطات البحر الميت! لن أقدم لك أي خدمة.

أجابته بهدوء:

– حسنا جدا. لن نتحدث عن الاحترام ولكن عن اسم عائلتك.

أخذ "كونال" تهديدها مأخذ الجد. منذ أن قرر عمه السيناتور "سولدن ديفريل" ترشيح نفسه لانتخابات الرئاسة انقض الصحفيون على عائلة "ديفريل" مثل جماعة من الذئاب الجائعة. ما الذي تريد الوصول إليه إذن؟

اعتدل في كرسيه ليتفرس فيها جيدا. لم يعد يعرف هذه الفتاة الشابة التي كانت في الثمانية عشر من عمرها عندما أحبها.

داعبت "شارون" مقبض حقيبة يدها بحركة متعاظمة غير مبالية حتى تظهر له أن نظراته الفاحصة لا تضايقها على الإطلاق. ولم يستطع الرجل إخفاء إعجابه برباطة جاشها. كانت بطاقتها تشير إلى أنها خبيرة محاسبة في شركة مربحة. ربما كانت ترغب في هذا المال لشراء أسهم في هذه الشركة أو من أجل بعض الأعمال الخاصة؟

إنه لن يبالي بأسبابها على أية حال. ربما يمكنها أن تحكي له أن أمها توشك على الموت وأنها تحتاج إلى هذا المال من أجل عملية تعتبرها فرصتها الأخيرة، لكنه لن يعطيها أي شيء.

– بما أنك ترين أن هذا الوعد يلزم ورثة "جاك" فلماذا وقع اختيارك

علي أنا؟ كان يمكنك أن تتوجهي إلى أبي أو ابنة عمي "كاثلين". لماذا لم تذهبي إلى عمي السيناتور "ديفريل". كان يمكنك بث الاضطراب في معسكره.

– هذا ليس هدفي. لقد اخترتك أنت لأنك أفضل من سيستجيب لأمنيتي.

كانت تكذب و"كونال" يعرف السبب. منذ أن تقاعد أبوه واهتمت "كاثلين" بـ"سوانسا" وسلك "سولدن" طريق السياسة كان هو الذي يسيطر بمفرده على إمبراطورية "ديفريل". إنها ستحاول الاستفادة من هذا لتطلب مبلغا كبيرا.

– هل كنت تعلمين بأمر العلاقة التي تربط بين جدي وأخت جدتك عندما كنا نخرج معا؟

– نعم، لكنني كنت أجهل وجود هذا الوعد المكتوب.

– لماذا لم تخبريني عنه؟

– لم يكن له أي أهمية في تلك الآونة.

– وكيف تفسرين أنه لم يحاول أي شخص من عائلتك الاستفادة من هذه الورقة قبل ذلك؟

– لا يمكنني الإجابة بدلا عنهم. أتصور أنهم لم يروا لها أي أهمية.

– ولكنك رأيت لها أهمية. هل من خدمة يمكن أن أؤديها؟

– أظن أنك ستحترم هذا الوعد.

– منذ متى وأنت تمتلكين هذه الورقة؟

– لقد ورثتها العام الماضي. لم تنجب "كلاريس" أطفالا. لقد ذهبت إلى أختها الكبيرة أولا ثم إلى أمي وهي ابنتها بالتأكيد. ثم

www.elromancia.com

أوصت بها أمي إلي.

– هل مازال والدك حيا؟

– مات منذ عدة سنوات قبل أمي.

– متأسف.

ثم أضاف بعد قليل:

– تعلمين أن هذه الورقة ليس لها أي قيمة أمام المحكمة.

– إنني مستعدة لتحمل المجازفة.

كانت المرأة تمزح! كيف يمكنها أن تتجاهل قدرته على تحطيمها تماما إذا لجأت إلى المحكمة؟

– جدك كان رجلا عظيما وأنت لا تحب بالتأكيد أن تلطخ اسمه في الوحل.

– نفس الأمر سينطبق عليك.

– وأنت أيضا..

– أنت مستعدة لكل شيء من أجل كسب القضية!

أكدت بصوت هادئ:

– نعم.

مال "كونال" بجسده الضخم عليها:

– حسنا جدا. لنوقف هذه اللعبة الصغيرة. كم تريدين؟

كررت بدهشة:

– كم تريدين؟

قال بنفاد صبر:

– نعم. ما المبلغ الذي تريدينه؟

– لكنني لا أريد مالا..

لم يصدق "كونال" أذنيه.

– في هذه الحالة أي خدمة تريدين أن أقدمها لك؟

– أريد أن تكون أبا لطفلي.

صمت "كونال" من فرط الدهشة وتفرس فيها دون أن يفهم.

كررت بصوت هادئ وقوي أيضا:

– أريد أن تكون أبا لطفلي.. أيمكنني الاقتراب منك؟

قربت الكرسي الذي كانت تجلس عليه وأخرجت لفة من الأوراق من حقيبتها ووضعتها على مكتب "كونال". ثم ارتدت نظارتها وأمسكت قلما. قالت وهي تمد له إحدى الأوراق:

– سنعقد اتفاقا سيرضيك.

ترك "كونال" الورقة تسقط دون أن يلقي عليها أي نظرة. تماسكت "شارون" على الرغم من حدة نظراته إليها. حاولت المرأة ألا تفقد رباطة جاشها. إنها تعلم قوة ونفوذ هذا الرجل. إن النساء يتساقطن تحت قدميه من أول نظرة.

– هذه الوثيقة تشير إلى مسؤولياتنا الشخصية بخصوص هذا الأمر وتتلخص في: مسؤوليتك تنحصر في أن تجعلني أنجب هذا الطفل. أما كل المسؤوليات الأخرى فتتعلق بي أنا. ستتنازل عن كل حقوق هذا الطفل لدى التوقيع. مفهوم هذا: إنه سيحمل لقب عائلتي أنا وليس لقبك أنت.

اكتفى بالرد عليها:

– إنك فقدت رشدك. ما اللعبة التي تحاولين لعبها. وماذا تريدين مني؟

– إنني أسعى إلى أن يكون لديّ طفل.

www.elromancia.com

– يمكنك اللجوء إلى التلقيح الصناعي.

أجابته وهي تهز رأسها:

– لا.

– تعلمين تماما أنك تطلبين المستحيل.

– مطلقا. إنني أطالبك فقط بأن تمنحني بعض وقتك لمدة أسبوعين.

تقترح النساء اقتراحات غريبة على "كونال"، لكن هذه المرأة تخطتهن كلهن. بالإضافة إلى أن "شارون" لا تعطيه أي تفسير أو إيضاح يمكن أن يوضح ما يختفي وراء هذا الطلب الغريب.

حاول الرجل مرواغتها ليلعب نفس لعبتها:

– أسبوعان... عفوا فإنني حتى لو فهمت فإن وقتي لا يسمح.

أحست المرأة الشابة بأن عنقها ووجهها قد احمرا ورأت أن "كونال" لاحظ ذلك.

– ماذا تبغين بالضبط؟

– لقد أخبرتك. انظر إلى العقد وستفهم أنني أطالبك فقط بأن أنجب طفلا منك. ارجع إلى الفقرة الرابعة في الصفحة الثانية وسترى أنني لن أطالبك أبدا بأي مبلغ.

أخرجت أوراقا أخرى من حقيبتها وأعطته إياها.

– ها هي فواتير الضرائب الخاصة بي في السنوات الخمس الأخيرة، يمكنك التحقق من أنني قادرة على التكفل باحتياجاتي واحتياجات طفلي دون الاستعانة بك. أريد أن تطمئن تماما أنني سأولي الطفل عناية فائقة جدا.

نهض "كونال" وجلس بالقرب منها على حافة المكتب. كانت غير

قادرة تماما على معرفة ما يدور برأسه، لكن التوتر الذي نشأ عن وجوده بالقرب منها أصابه بالاضطراب. لما كانت راغبة في الانتهاء بسرعة أضافت قائلة:

– هناك شيء آخر: بما أن راحة هذا الصغير تعتبر من أولى اهتماماتي فإنني لم أبتلع –منذ عشرة شهور– أو أشرب أي دواء.

– عشرة شهور؟ أخبرتني بأنك تملكين هذه الورقة منذ عام. كان يلزم إذن شهران لتقرري طلب هذه الخدمة.

– هذا صحيح بالفعل. وصدقني في أنني لم أتخذ هذا القرار بسهولة.

مدت يدها نحو الورقة الأخيرة التي كانت تتمنى أن يخضع لها وواصلت حديثها:

– ها هي نتائج تحاليل دمي الأخيرة التي تثبت أنني لا أعاني أي مرض معد ولم أكن حاملا قبل ذلك.. أتوقع أن تقوم بنفس الفحوص التي قمت بها.

أحس "كونال" بأن صبره ينفد وقال بنبرة غاضبة:

– لننته من هذا الأمر.

– إنني لا أطلب غير هذا. لقد تناولت على أية حال كل الموضوعات التي تهمني.

ثم واصلت حديثها –وهي تدس نظارتها في حقيبة يدها–:

– سأترك لك هذه الأوراق. أمامك ثمان وأربعون ساعة لتتخذ قرارك.

نهضت واقفة ثم قالت:

– رقم تليفوني موجود ببطاقتي.

www.elromancia.com

دس "كونال" يديه في بنطلونه. بمجرد أن وصلت إلى الباب قال لها:

– هناك شيء أود أن أعرفه.

سألته –مستفهمة وهي تستدير–:

– ما هو؟

– لماذا أنا بالذات يا "شارون"؟ لماذا ترغبين أن أكون الشخص الذي يساعدك على الإنجاب؟

– لأنك ستكون متأكدا في هذه المرة من أنه ابنك.

*****

أغلقت "شارون" باب شقتها خلفها. كانت المسافة التي تفصلها عن الأريكة الصغيرة الموجودة أمام جدار الصالون كبيرة جدا. كان يلزمها وقت طويل لاجتياز الغرفة والسقوط على الأريكة. كانت ترتعد منذ أن غادرت مبنى "ديفريل".

كانت فترة الشهور العشرة كافية لتجهيز مواجهتها مع "كونال". لكن فترة عشر سنين في الحقيقة لا تكفي لتسهيل الأمور عليها. كان لابد أن تستجمع كل قواها لدخول مكتب أميرها الساحر الذي يمثل قلب إمبراطورية "ديفريل". إن هذه ليست سوى البداية لاستشهادها.

لفت نفسها في بطانية لتدفئ نفسها وتتوقف عن الإحساس بالرعشة، وحاولت أن تقنع نفسها أكثر من مرة أنها تصرفت بشكل جيد. لقد مر الأمر الأسوأ. لقد قدمت طلبها إلى "كونال" دون أن تفقد أعصابها بعد أن احتاطت لكل شيء لتفاجئه وتصدمه وتدهشه

أيضا. إنه لم يستمع إليها فقط لكنها وصلت إلى أن تكون لها الكلمة الأخيرة. لن تفيد هذه التجربة في أي شيء إذا رفض "كونال" احترام الوعد. لكنها اعتمدت على فخرها وكبريائها اللذين دفعاها إلى التنفيذ.

رن جرس التليفون. كان "كونال" هو الطالب. أعطاها اسم وعنوان مطعم ثم أضاف قائلا:

– اذهبي إلى هناك في الثامنة مساء. إذا لم يعجبك المكان فاتصلي بي لأحدد مكانا آخر. إنني في احتياج إلى توضيح.

ساد الصمت على الطرف الآخر، وتوقفت الآلة، وارتسمت ابتسامة خفيفة علي شفتي "شارون".

كانت تعرف أنها ستجتاز هذه العقبة الجديدة.

*****

حملق "كونال" إلى التليفون بغضب. لم يكن يتحمل انتظار ساعة العشاء ليرى "شارون" مرة أخرى. كان يريد رؤيتها ليهزها وينتزع منها تفسيرا "ما الذي تقصدينه بقولك: إنك ستكون متأكدا في هذه المرة من أنه ابنك؟

كيف جرؤت على الدخول إلى مكتبه بعد عشر سنوات وهي تحمل معها هذا الوعد الغبي لـ"جاك"؟ كيف تمتعت بهذه الوقاحة إلى حد أنها تطلب الإنجاب منه في حين أنها تعلم تماما أنه عقيم؟

*****

اقتادهما النادل إلى مائدتهما. تلاشى غضب "كونال" الذي كان

www.elromancia.com

يشعر بتوتر شديد مماثل للتوتر الذي يسبق مناقشة مشروع مهم.

سالها -عندما اكتشفا منضدة قريبة من فتحة النافذة التي تطل على النهر-:

- أتناسبك هذه؟

همست قائلة:

- جيدة جدا.

على الرغم من أن هذا المطعم مشهور جدا إلا أنه كان مقتنعا بأنها ستوافق على مقابلته في أي مكان. بعيدا عن هذا الوعد فإنها تريد منه شيئا ما وهذا يجعله سيد الموقف.

سالها -وهو يجلس بعيدا عنها بقدر الإمكان لكي يحطم سحر رائحة عطرها-:

- هل عثرت على المطعم بسهولة؟

استقللت تاكسي. كان السائق يعرف الطريق.

- أتفضلين أن تتناولي شيئا في البداية؟

رأت "شارون" أنها لن تنخدع بموقفه المجامل. كان واضحا أنه تغلب على صدمة لقائهما. بدت السهرة مخيفة.

- أريد أولا تناول عصير.

- نريد عصيرا وكوب ليمون.

انتظر "كونال" حتى ابتعد النادل ليواصل حديثه:

- حسنا يا "شارون" والآن حدثيني بصراحة. ما المقصود من وراء كل هذا؟

أجابته -دون أن ترمش بعينيها-:

- لقد علمت بكل شيء. أوضحت لك الأمور بقدر المستطاع. لم

أعد أنتظر سوى ردك.

ألقى "كونال" نظرة حوله ليتأكد من أنه لا يوجد أحد يسمعهما.

- تعلمين جيدا أنني عقيم. ما الذي تريدينه مني؟

أكدت دون أن تضطرب:

- فيما يخصني تعلم أنك غير عقيم. ولم تكن كذلك أبدا.

قبضت يد "كونال" على المائدة كإشارة لتغير مزاجه:

- ما اللعبة التي تلعبينها يا "شارون"؟ إننا لم نلتق منذ سنوات بالتأكيد، لكنك لم تفقدي ذاكرتك حتما. تعلمين جيدا أنني مصاب بالغدة النكافية وهذا يجعلني عقيما.

- كيف يمكنني أن أنسى؟

قاطع ظهور النادل حديث المرأة وبدأت تتفرس في الرجل. كان واثقا بنفسه وبوضعه الاجتماعي. هذا الرجل يعبر عن الرجولة في كامل أوصافها. تمكن الشك لحظة من "شارون": كيف تجرؤ على تحديه؟ لكن الإحساس بالفراغ المعذب استولى عليها. استطردت قائلة:

- كيف يمكنني أن أنسى حدثا له مثل هذه النتائج على حياتي؟ لقد اتخذ والدك وأنت هذه الغدة النكافية حجة لتنصرفا عن الفحوص الطبية لتعرفا إذا كنت قد قلت الحقيقة أم لا. أتعرف ما الثمن الذي دفعته؟

- إنني أعرف الثمن الذي دفعته أنا.

- أنت! أنت الوحيد الذي ربحت. لم يفكر أحد في الفتاة الشابة التي ليس لها وضع اجتماعي ولا تمتلك المال وتجرأت على الادعاء بأنها تنتظر طفلك الصغير. كل الناس سخروا مني. لم تكن هناك إلا

فكرة واحدة تدور برأس والديك: المحافظة على اسمهما وسمعتهما من الفضيحة. كانا يريدان فقط أن تكون نتيجة فحوصك الطبية صحيحة.

– أتودين قول إنهما اشتريا الشخص الذي أجراها لي؟

– لا أعلم شيئا عن هذا. قلت فقط إن لديهما أسبابا ليكذبا وأنت أيضا.

– إنك مخطئة يا "شارون".

قالت –وهي عازمة على عدم التطرق إلى هذا الجانب من الحوار–:

– حسنا جدا. لنعد إلى نقطة البداية. الطبيب أكد لك أنك غير قادر على الإنجاب بسبب ضعف معدل حيواناتك المنوية. لكن لا يوجد أحد أفضل مني يعرف أنني كنت حاملا منك منذ عشر سنوات يا "كونال" وليس من "مارك برتون" كما ادعيت. منك أنت!

كان "كونال" عاجزا عن الرد عليها وشعر بألم حاد في أحشائه بعد كل هذه السنوات التي حاول فيها أن ينسى هذه المرأة وما فعلته به. إنه يشعر بالجرح الآن أكثر مما سبق. إن كلمة "عقيم" تشعره بالمرارة في حلقه.

التزم الصمت حتى يتحكم في مشاعره. قال أخيرا:

– إنني إذن أمام اختيار. إما أن أفكر في أنك كذبت علي لسبب غير معلوم يجب أن أكتشفه حتى لا يمكنك أن تجرحيني أو تجرحي أسرتي..

قاطعته قائلة:

– أجرح كل أقرباء آل "ديفريل"؟ من يجرؤ على الاحتكاك بهم؟

– لقد هددتني بأن تفعلي هذا.

– أتصدق هذا؟

واصل حديثه –بعد أن تنهد تنهيدة عميقة–:

– ليكن.. رأيت أنك تقولين الحقيقة. هذا تجاوز مستوى إدراكي لكن يجب أن أكتشف أسبابك.. لقد فقدت طفلك منذ عشر سنوات. فما جدوى التحدث عنه مرة أخرى اليوم؟

قالت المرأة –والغضب باد في عينيها–:

– تحليلك يدهشني يا "كونال". يالها من أستاذية! إن مالا يدهشني كثيرا هو أنك لم تتغير. مازالت هناك أشياء بسيطة تفلت منك. أو أنك ترفض رؤيتها.

صاح قائلا:

– لم تخطئي. هناك احتمال آخر أتركه جانبا: من الذي يثبت لي أنك غير مجنونة؟

– لست كذلك يا "كونال". إنني أريد طفلا فقط مثل كل النساء.

– وتريدين أن يكون طفلي.

تظاهرت "شارون" بالتصفيق:

– عظيم! ها قد وقعت في الفخ أخيرا.

– ما الذي تريدينه بالضبط يا "شارون"؟ الانتقام؟

– لا تكن مغرورا! لم أذب حبا فيك طوال هذه السنوات. لم أفكر في كل هذا إلا بعد أن ورثت وصية "جاك".

– وإذا لم يكن انتقاما فماذا عساه أن يكون؟

– إنه تبرير. سأثبت لك أنك مخطئ في ادعائك بأن الطفل الذي كنت حاملا فيه وفقدته لم يكن منك. ثم سأختفي بعد ذلك من

حياتك ولن تراني أبدا.

تفرس فيها "كونال" وهو يحاول أن يفهمها. إن رقتها الطبيعية كفتاة صغيرة تحولت إلى جاذبية شديدة.

هناك شيء واحد لم يتغير: إنها تكذب عليه اليوم مثلما كانت تفعل قبل مضي عشر سنوات.

ظل "كونال" مقتنعا بانها لا ترغب شيئا سوى المال.

قال متذمرا -وهو يدفع كرسيه-:

- لنرحل من هنا!

ألقى بعض المال على المائدة وأمسك المرأة الشابة من ذراعها وأجبرها على النهوض.

قال للنادل المندهش:

- لقد غيرنا رأينا. لن نتناول العشاء هنا.

الفصل الثاني

اعترف "كونال" -بعد أن تجول بعينيه على صالون "شارون"-:

- لم أكن متوقعا هذا.

حاولت المرأة بلا جدوى -أن تتخيل ما حول نظره. كان ديكور شقتها يبدو لها عاديا. لم تجد "شارون" الهدوء والراحة إلا في هذا المكان ومن ثم أحبت الاحتفاظ بسرية هذا المكان. وبما أن "كونال" رفض دائما عرضها فإنها قد شعرت بالاضطرار إلى دعوته إلى منزلها، لكن مبررات مخاوفها كانت معروفة: إنها تخشى هذا الرجل الواقف في وسط الصالون ويهدد بإبعاد الهدوء عن عشها الهادئ. كان "كونال" يتاملها وهو متاكد تماما من أنها تعيش في انسجام مع المنزل الذي اختارته.

- ظننت صراحة أن شقتك لن تكون جميلة وساحرة بهذا القدر.

قالت بابتسامة مقتضبة:

- أتصور أن ملاحظتك تخفي وراءها مجاملة لكنني لا أستطيع فهمها.

- لنقل إنني توقعت أن أجد حاسبا آليا ورسومات على الجدران وتلفازا يشير إلى أسعار البورصة.

- ظننت عموما أنني أعيش في مكتب.

- لا، حقيقة لكن في مجتمع يتناسب مع مهنتك. اكتشفت مع مرور السنين أن الشقة تناسب مناقشة الأعمال.

- أعمال؟ ظننت أننا تحدثنا عن إنجابنا طفلا.

أجابته دون أن تضطرب:

www.elromancia.com

– أنت من رفض إعطائي ردا. أتريد قدحا من القهوة؟

– لا مانع. لكن قهوة سادة.

– لم أكن أظن أنك ستطلب سكرا أو بودرة.

– "شارون"؟

– نعم.

– ماذا فعلت بشعرك؟

– لا شيء. لماذا؟

– إنه مموج.

– إنه على هذا الشكل دائما. إنني أفرده كل صباح بمجفف الشعر.

عندما تشبه المرأة "شيرلي تمبل" فالرجال لا يأخذونها مأخذ الجد.

– إنك لا تشبهين "شيرلي تمبل" واعلمي أنني لا أعتمد على تسريحة امرأة في تقدير سحرها.

– إذا كنت تنطق بالحقيقة فإنهن محظوظات.

كان واضحا أنها لا تثق به في أي شيء.

أثناء ما كانت تعد القهوة كان "كونال" يتفحص عشرات التماثيل الصغيرة الموضوعة على الرف. كان أحدها يمثل ولدا صغيرا ذا وجه متيقظ وهو يذهب إلى المدرسة حاملا حقيبته على ظهره، وتمثالا آخر لطفلين على أرجوحة، وتمثالا ثالثا لفتاة صغيرة تشم زهرة الربيع.

كان يداعب زهرة الربيع حينما ظهرت "شارون". استندت إلى باب المطبخ وعقدت ذراعيها على صدرها:

– القهوة ستكون جاهزة في خلال دقيقة.

– مجموعتك هذه رائعة.

– هؤلاء الأطفال يجعلونني سعيدة.

سألها مستفهما:

– كيف؟

أحست "شارون" بوخز شديد.

– لا أعلم. إنه هكذا.. وأنت؟ أتوجد أشياء بسيطة تسعدك.

– حياتي تجعلني سعيدا. لقد سويتها على هذا الحال.

لم ترد المرأة، دوى صدى الكلمات الأخيرة لـ"كونال" في رأسها: "لقد سويتها على هذا الحال". في الحقيقة آل "ديفريل" يمكنهم تسوية أي شيء. ماذا لو أرادت إحدى بناتهن تحويل بيتها القديم إلى فندق فخم؟ إنهم يسوون هذا الأمر بمعرفتهم ماذا لو أراد أحدهم أن يكون "سيناتور" ثم رئيسا للولايات المتحدة؟ إن لديهم ما يكفي من الموارد لتسوية هذا الأمر. وأخيرا قرر ألا يعترف بطفله؛ كل شيء يسهل تسويته!

– أعتقد أن القهوة جاهزة.

أخذ "كونال" مكانه على الأريكة. جذبت انتباهه قارورة عطر صغيرة على المائدة. هل وضعت قطرة بسيطة منها على عجل قبل أن تلحق بميعاده في المطعم؟

فك "كونال" رابطة عنقه الحريرية. لقد ندم في النهاية لعدم بقائه في المطعم. إن الجو الأنثوي الذي تشيعه شقة "شارون" يضايقه. إنه يذكره بفتاة الثمانية عشر عاما المثيرة والماكرة التي قابلها حينما أنهى دراساته في "هارفارد".

كانت تعمل في تلك الآونة في محل ملابس للرجال بالقرب من الجامعة حينما دخل "كونال" عليها هناك من أجل شراء "بلوفر". إن

www.elromancia.com

نظرة واحدة تبادلاها كانت كافية، تحول انجذابهما المتبادل إلى علاقة عاطفية حميمة جدا.

كانا قد تعارفا منذ عدة أسابيع تقريبا عندما بدأ صديقه "مارك برتون" يسخر من "شارون". لما كان "كونال" مقتنعا بان الغيرة هي السبب في سلوكه، لهذا سخر هو الآخر منه. بعد مرور عدة أشهر أخبرته "شارون" بحملها ونظراتها تتارجح بين التردد والأمل. مازال "كونال" يحتفظ بالذكرى الأليمة لمخاوفها التي ارتسمت على عيني الفتاة في ذلك اليوم.

لما كان مضطربا من جراء تلميحات "مارك" اعترف لوالديه اللذين نصحاه بإجراء فحوص طبية. دليل عقمه وقد أتى ليؤكد مخاوف والديه ومخاوفه هو، لم يستطع أن يواجه هذه التجربة مثلما أقر بخيانة وأكاذيب "شارون" بعد أن أخبرها:

– لا يمكنني أن أكون أبا لطفلك. هذا مستحيل.

ظلت الفتاة صامتة وقد تجردت التعبيرات من وجهها واكتفت بإعطائه ظهرها والفرار مسرعة. علم "كونال" بعد ذلك بأنها فقدت طفلها.

منذ ذلك الوقت سوى "كونال" كل الأفكار الخاصة بها في عقله الباطن. لكن ظهورها المفاجئ في حياته أظهر لها أن هذه الأفكار مازالت حية.

صبت "شارون" القهوة الساخنة في قدحين جميلين من الخزف ثم جلست على الطرف الآخر من الأريكة وبدأت تلاحظ "كونال" بطرف عينيها على الرغم من أنه كان مرتديا نفس الحلة التي كان يرتديها بعد الظهر في المكتب إلا أن جاذبيته كانت واضحة منذ أن

فك رابطة عنقه وفتح ياقة قميصه.

حاولت "شارون" أن تقنع نفسها بانها لن تجازف بشيء. كانت تعرف سبل مقاومته.

قال "كونال":

– إنني متأسف لأنك فقدت طفلك.

ارتعدت يد "شارون" وانقلب قدحها في الصينية.

– تعرف إذن! لم أكن متأكدة من ذلك على الرغم من أنك لم تحاول رؤيتي مرة أخرى.

– كيف كنت تريدينني أن أتصرف يا "شارون"؟ إنه ليس طفلي.

أدارت رأسها لكنه شعر بوميض من المعاناة والمرارة في عينيها جعله يفكر. سألته قائلة:

– هل اتخذت قرارا بخصوص ما ستفعله؟

– لم أقرر شيئا يا "شارون". لا يمكنني ذلك. هذا مستحيل من الناحية العملية.

قالت وهي تحاول أن تكتم غضبها:

– تبدو واثقا بنفسك! ألم تتصور أيضا أنني قلت الحقيقة.

– إذا كان الأمر هكذا فلماذا لم تتناقشي؟ لماذا هربت مثل السارقة؟

– شعرت بجرح عميق بسبب عدم تصديقك لي. كنت أعلم أنني لم أفعل شيئا أستحق به شكوكك. عندما أخبرتني بنتيجة فحوصك شعرت بأنني مدمرة.

– مدمرة؟ أنت؟ أيتها العظيمة "شارون"! إنك أول امرأة أحببتها. حاولي أن تتصوري إحساسي عندما علمت بخيانتك.

www.elromancia.com

– إنني أسخر من نفسي صراحة بعد الذي عانيته. عندما رفضت أن تصدقني.

قال "كونال" –بصوت قوي–:

– ألا تفهمين أنني كنت أحب أن تقولي الحقيقة؟ لقد غير عقمي كل حياتي.

اضطربت من جراء هذه الإشارة وأحست بنوع من التعاطف أخفته في الحال.

– إنك لا تكف عن استخدام كلمة "عقيم". لكن إذا كانت ذاكرتي صحيحة فإن الطبيب قال فقط إنك تعاني ضعف معدل الحيوانات المنوية. هناك فرق بين العقم وما قاله الطبيب.

انقبض فك "كونال".

– لن نتناقش في المفردات! لقد قدر أن فرصة إنجابي معدومة.

كان إصراره يزيد عزم "شارون".

– ألم تقل لنفسك أبدا إنك ربما أخطأت؟

– كلا لم أفعل.

صاحت ساخطة:

– كلا! إنك تنتمي حقا إلى آل "ديفريل" قولا وفعلا!

مالت ناحيته وهي تقول:

– اتفقنا يا "كونال"، لنعترف بأنك محق. هناك مشكلة جسدية تمنعك من الإنجاب. قل لي إذن ما الذي ستخسره إذا منحتني من وقتك أسبوعين لأصبح حاملا؟

– لن أقيدك في هذا يا "شارون".

احمر خدا المرأة. تذكر "كونال" أنها كانت تحمر خجلا وهي فتاة

صغيرة وكان هذا يصيبه بالحيرة حينذاك. لكن كثيرا من المشاعر والأحاسيس العنيفة منعته من التطرق فيما لا يفيدها حتى لا يضطر إلى تذكر الأيام الخوالي التي قضياها معا.

تنهد قائلا –وهو يوجه إليها ضربتين مؤلمتين–:

– لا أرى ما الذي ساخسره لكنني أرى هذا. ليس لدي أي سبب يدعوني للثقة بك يا "شارون".

أجابته بنبرة لاذعة:

– ولا أنا أيضا. أقترح أن نتخلى عن هذا الشك المتبادل إنني لا أطالبك بشيء كبير.

– هذا ما تقولينه أنت.. وماذا عن التلقيح الصناعي؟ هذا يتناسب معك. وهكذا لن تجبري رجلا لا يحبك.

أجابته بنبرة حازمة:

– أخبرتك من قبل بأنني لا أرغبه. لا أرغب في أن أخبر طفلي بأنه أتى من تجربة معملية أو أن اختيار والده بين يدي الإخصائي في المعمل.

– لكن يمكنك اختيار صفاته الجسدية وأصوله الاجتماعية وتفاصيل أخرى من هذا القبيل.

– ليس لأننا عرفنا لون الشعر أو عيني المانح أننا نعرف كينونته.

– إنني لا أفهم شيئا من هذا الأمر برمته وأنت كذلك. إنك ظهرت فجأة مع الوعد المكتوب منذ أكثر من خمسة وسبعين عاما. يبدو أنك لم تفكري في هذا الأمر بشكل جيد.

ثم أضاف والمكر يبدو في عينيه:

– وما يستلزمه من تضحيات امرأة تقدمها لرجل من أجل وصولها

www.elromancia.com

إلى هدفها.

اتسعت حدقتا المرأة بشكل مخيف. كانت تعلم ما ترمي إليه نظرات هذا الرجل وكلامه. إنها تفهم جيدا مقصده إنها ليست بغبية لدرجة أنها لم تفكر في ذلك قبل تقدمها إليه بمستنداتها وأوراقها. ولا أنها تعلم كافة نتائج هذه المغامرة وتلك النتائج التي هي مستعدة لتحملها.

قالت "شارون":

– إنك مخطئ. لقد استعرضت كل التفاصيل. إن هذا الموقف غير مريح، ومثير للضيق وسيظل هكذا. لكنني مستعدة لتحمله وينبغي أن يكون الأمر كذلك بالنسبة لك.

– تحمله؟ أيعني هذا ما سنفعله من أجل إنجاب الطفل؟

– وقح!

– لا داعي لهذا يا "شارون".

– إنك مجبر على الالتزام بوعد جدك.

– لست موافقا.

– لنغير إذن وجهة النظر. لقد عشت نار جهنم عندما أعلنت أنك عقيم. إنك مدان لي يا "كونال". وأرغب في أن يكون لي طفل.

الفصل الثالث

وضع "كونال" التقرير على مكتبه وهو يبتسم ابتسامة استحسان للرجل الأشقر الجالس أمامه.

عظيم يا "أماريلو"! لقد أديت عملا عظيما كالعادة أجابه الرجل:

– إنني هنا من أجل هذا.

– لدي الآن كل المعلومات التي أريدها عن شركة "دوجان" وشخصية "چولز دوجان". هذا سيساعدني كثيرا.

كان "كونال" يعرف "أماريلو" منذ زواج ابنة عمه "كاثلين" بـ"فرانكو دي فرنزا" قبل ثلاث سنوات. كان "فرانكو" و"أماريلو" زميلين في الشرطة في ذلك الوقت في "بوسطن" وقد تركاها ليؤسسا مشروعهما الخاص في الاستخبارات والأمن. إنهما يقدمان خدماتهما إلى المؤسسات الكبيرة الراغبة في التحري عن أي قضية أو هروب لا مبرر له أو أشخاص، ولا يوجد لهما مثيل في هذا المجال.

على الرغم من أن "كونال" لا يعرف كل شيء عن "أماريلو" إلا أنه كان يعتبره صديقا ولا يتردد في البوح له بالشؤون الشائكة جدا والسرية جدا.

قال:

– أعلم أن "كاثلين" والطفل بخير. لكن كيف حال "فرانكو"؟

– إنه لا يأتي كثيرا إلى المكتب الآن! من الممكن أن نقول إنه سيعيد اختراع معنى الأبوة من أجل نفسه فقط. إن الصغير "نيكولاس" سليل "ديفريل" و"دي فرنزا" – طفل فريد من نوعه!

ربما كانت هذه الملاحظة تثير ضحك "كونال" قبل أسبوع من الآن.

لكن ظهور "شارون" في حياته مرة أخرى ذكره بأنه لن يكون أبا أبدا. كان سعيدا جدا من أجل "كاثلين" و"فرانكو" لكنه شعر بالغيرة من الفخر الأبوي لـ"فرانكو".

– لدي مشكلة يا "أماريلو".

– أيمكنني عمل أي شيء لمساعدتك؟

لم يكن لدى "كونال" أدنى فكرة عن ذلك ودهش من نفسه لأنه أحس بالحاجة إلى أن يبوح بسره إلى صديقه. حكى له كل القصة بإيجاز قدر المستطاع.

قال "أماريلو":

– لكنني أعرف كثيرين يحلمون بقضاء أسبوعين مع امرأة جميلة!

أكد "كونال" –وهو مدرك أن هذه الملحوظة لا تنطبق على "شارون"–:

– لست أنا كذلك.

قال "أماريلو" مازحا:

– حسنا، ساضعها تحت المراقبة وعما قليل ساعرف لون طلاء أظافرها وقدميها.

– هذا لا يبدو ضروريا بالنسبة لي.

– في هذه الحالة ليس أمامك إلا حل بسيط يتيح لك معرفة إذا كانت كاذبة أم لا. أعد تكرار الفحوص الطبية.

كان "كونال" يرفض بينه وبين نفسه الخضوع مرة أخرى إلى هذه المهانة، هذا بخلاف الألم الذي سيعاوده لدى ظهور النتائج.

– لا. لن أخوض هذه التجربة مرة ثانية.

تنهد "أماريلو":

– اسمع يا "كونال"، لقد اقترحت عليك كل الاقتراحات الممكنة.

– أعلم. لكن لا يناسبني أي اقتراح منها. إنني أحاول تحليل كافة الحلول مع الاحتفاظ بكرامتي لكن ماضينا يقلب كل الأمور رأسا على عقب.

– اهتم إذن بالحاضر ودعني أتحرى لك عنها.

– لا، لا تتحر عن شيء.

لقد لمس "أماريلو" نقطة حساسة. لكي يحدد موقفه بالضبط لابد أن يبدأ "كونال" من الحاضر ويحدد ما يريده بالضبط.

سيصبح كل شيء واضحا انطلاقا من هذه النقطة: إنه يريد "شارون".

*****

ابتعدت "شارون" لتدخل "كونال" الذي كان مفعما بالطاقة والنشاط.

لقد اتصل بها ليخبرها بأنه اتخذ قراره، لكنها مازالت لا تعلم فحواه ولم تتوصل إلى فك طلاسم وجهه.

من جانبها كانت المرأة تخشى عجزها عن إخفاء عصبيتها. إنها لم تكف منذ ثمان وأربعين ساعة عن إصلاح كل الأخطاء المحتمل أنها وقعت فيها.

إن كل ما تعد له منذ عشرة أشهر وصل إلى اللحظة الحاسمة. إذا رفض عرضها فإنه ينبغي أن تعيد التفكير في حياتها من الأساس وتعيد التفكير في خطط وتحديد أهداف جديدة. لكن لابد أن تتحمل هذا الفراغ الموحش الذي دفعها إلى الذهاب إليه.

www.elromancia.com

لقد صاغ هذا الرجل كل حياتها حتى لو كانت فكرة طلب هذه الخدمة منه لم تخطر بذهنها إلا منذ عشرة شهور. إذا رفض تنفيذها فلن يتبقى لها أي شيء.

دهشت من نظرة الاستهجان التي يلقيها على المكان. كان وجوده يضعفها تماما مثلما كان في المرة السابقة. هذا الرجل يدير إمبراطورية يجب ألا تنساه.

– ألا تريد الجلوس؟

أجابها بنبرة خشنة:

– لماذا تقيمين في هذا المكان الصغير جدا؟

– عفوا؟

– إنك تكسبين جيدا بالتأكيد.

قالت بصوت مضطرب:

– نعم. رأيت أوراق الضرائب.

– لم أر شيئا. إنها لن تفيد في شيء طالما أنني أعلم أنه لن يوجد طفل.

كادت "شارون" تشعر بخيبة أمل.

– إنك ترفض إذن؟

– لم أقل هذا. قلت إنني أعرف أنه لن يوجد طفل. لن يوجد طالما أنني عقيم لكنني مع ذلك قررت قضاء الأسبوعين معك.

قالت ببطء:

– لا أفهم.

– لقد عشنا قصة حب على الرغم من أنك خنتني مع "مارك برتون".

– غير صحيح!

كان يموت من الرغبة في تصديقها لكنه تظاهر بعدم سماعها.

– حدث بيننا شيء حقيقة. شيء لطيف أو وحشي أو طبيعي. إن هذه القصة ستندثر من تلقاء نفسها مثلما هو حال أغلبية قصص حب الشباب.

– لست أنا من يكذب!

رفع "كونال" كتفيه:

– لا يهم! إن نهايتها المفاجئة جعلتنا مكتئبين وحزينين. أحب أن أؤكد لك أنني لم أفكر فيك أبدا لأنه سيكون خطأ. والآن قررت الظهور مرة أخرى في حياتي.

أحست بالضرورة لأن تحدد:

– عدة أيام فقط.

– ربما. إن الأسباب التي دفعتك إلى مقابلتي مرة ثانية تجعلني مرتابا.

– لماذا وافقت إذن؟

– لأنني أعرف أنه بإمكانك إثارتي.

رأى "كونال" الاحمرار على وجه "شارون".

– هانت تحمرين. أتصور أن التفاصيل الأخرى المالوفة ستظهر هذا بيننا ثانية. لكنني أحذرك يا "شارون" بأنني لن أتحمل أي كذبة.

– إنني لم أكذب أبدا يا "كونال". كان الطفل ابنك.

تجمدت عينا "كونال" وبدا قاسيا:

– اتفقنا. لقد قلتها ولا يجب أن تكرريها.

شعرت المرأة برعدة وتمتمت:

www.elromancia.com

– إنك لا ترغب في قضاء هذا الوقت معي.

– أترغبين في أن أثبت لك العكس فورا؟ على هذه الأريكة؟ أم أنك تفضلين الحجرة؟

لم تحتمل المرأة الإحساس بالمهانة أمامه.

واصل حديثه قائلا:

– لقد اتخذت قراري. إنك تصرين على إنجاب طفل مني على الرغم من أنني أخبرتك بان هذا مستحيل.

– إنك موافق إذن.. هل أنت مستعد للتوقيع على الوثيقة التي أعددتها.

– ساجري فحوص الكشف عن الأمراض لكنني لن أوقع على أي شيء آخر.

قالت دون تردد:

– موافقة.

قال بصوت وديع:

– حسنا. اذهبي لتغيير ملابسك الآن. ارتدى شيئا أفضل من بنطلونك الجينز هذا.

– لماذا؟

يجب أن أحضر حفلة خيرية. سأذهب إلى هناك لمقابلة ابنة عمي "كاثلين".

نظرت "شارون" إليه دون أن تفهم.

كرر قائلا:

– ابنة عمي "كاثلين". ستتواجد هناك مع زوجها "فرانكو". يمكننا أن نطلب منها إذا كانت إحدى شقق "سوانسا" المحجوزة

للأسرة خالية أم لا.

– لماذا؟

– لأننا سنمضي بها الأسبوعين.

أحست "شارون" بان عاصفة شديدة تحملها إلى مكان مجهول.

– لماذا "سوانسا"؟ لماذا لا نبقى بالمدينة؟

– إذا بقيت في "بوسطن" فإن المكتب سيزعجني. لكن "سوانسا" مكان مقدس بالنسبة لي بالإضافة إلى أنه أفضل مكان في نظري.

أغرتها فكرة "كونال". ربما تستطيع الاسترخاء في مكان خال تماما من الذكريات.

– غيري ملابسك الآن إلا إذا كنت لا تفضلين بدء الحفل الآن..

أجابته –رغبة منها في مقاومته فقط–:

– أفضل أن تذهب بمفردك إلى هذه الحفلة. لا أرى ضرورة لوجودي.

اختصر "كونال" المسافة التي تفصلهما لكنها تراجعت خطوة إلى الوراء.

– ولهذا ينبغي أن تأتي. في كل مرة أقترب فيها منك تصبحين عصبية.

قالت –وهي تعقد ذراعيها على صدرها–:

– سيتحسن الأمر فيما بعد.

– هل أنت متأكدة من ذلك؟ إنك لا تشعرين بالارتياح معي وأنا كذلك. هذا واضح. أشعر بانني أمسك باقة من الشوك في يدي.

– لا!

– إنني لا أحب الدم يا "شارون".

www.elromancia.com

كانت المرأة تكره ذلك أيضا. إنها لم تتراجع بسبب النفور ولكن بسبب الخوف من أن تخونها ردود أفعالها وتضعها تحت رحمته.

– لست متأكدة من أن سهرة ستكفي.

– إنها البداية.

أذعنت –وهي تضطر إلى الاعتراف بأنه لم يخطئ:

– حسنا.

كان لابد –في إطار ترقيها الاجتماعي– أن تحضر العديد من الحفلات وترتدي ملابس كثيرة وفخمة. اختارت فستان سهرة جذابا ومثيرا للغاية ووضعت مكياجها وسرحت شعرها.

بمجرد انتهائها عادت إلى الصالون وهي تمسك حقيبة يدها. رفع "كونال" عينيه عن المجلة التي كان يمسكها.

– إنك رائعة. رائعة للغاية. هيا بنا.

*****

قالت "كاثلين" –وهي تهز شعرها الرمادي الطويل–:

– لا يسبب هذا أدنى مشكلة. يمكنك استخدام إحدى شقق الطابق الرابع. لم يكن هذا يستوجب سؤالي.

قال "كونال":

– فضلت أن أخبرك.

كانت عينا ابنة عمه الخضراوان تلمعان من الانبساط.

– إنك تخفي عليّ شيئا. إنك لا تحضر أبدا مثل هذه الحفلات. لماذا أتيت الليلة؟ هل بسبب المرأة التي ترافقك؟

– لا تتركي العنان لخيالك يا "كاثلين".

– أرغب في إعطائك ضربة.

– لا تفعلي أي شيء. اكتفي بإخبار كبير خدمك بأنني أتيت مع مدعوة.

– أخبر من؟

– هذا لا يعنيك.

– اتفقنا، اتفقنا. على أية حال علمت من هي بمجرد وصولكما. بالمناسبة ستكونان بمفردكما. لا أنوي أنا و"فرانكو" الذهاب إلى "سوانسا" الآن. لقد عاد والدك منها. أما بخصوص أمي و"كوين" فإنهما نادرا ما يغادران منزلهما الجديد منذ زواجهما. العم "سولدين" عقد اجتماعا انتخابيا هناك في الأسبوع الماضي ثم عاد إلى الريف.

ضايقها "كونال" بقوله:

– هلا أعطيتني أخبار معجزة المعجزات؟

انفجرت "كاثلين" في الضحك:

– "نيكولاس" طفل رائع! ننوي تسجيله عما قريب في "هارفارد" بالمناسبة لا أعرف أين أضع الهدايا التي أرسلها العم "كونال" إليه.

– مسكين هذا الصبي! أريد أن يتمكن من اختيار أنشطته. إنني متأكد من أنه متضايق. ليس لديه أي شيء آخر ليفعله إلا الأكل والنوم ومشاهدة والديه يضحكان على كلامه!

– عجيب جدا! هلا حدثتني عن "شارون"؟

ألقى "كونال" نظرة باتجاه "فرانكو" و"شارون" اللذين يتحدثان بالقرب من المائدة الأخرى. كانت المرأة توجه ابتسامة خجل ولكنها

www.elromancia.com

صادقة إلى "فرانكو" على عكس الابتسامة المتوترة التي تكنها لـ"كونال".

استدار "كونال" المتضايق إلى ابنة عمه.

– هل تعجبك؟

– إنني لم أتعرف عليها إلا منذ ساعة لكنها تبدو رائعة. قل لي يا "كونال": هل تنوي الإقامة معها في "سوانسا"؟

تظاهر "كونال" أنه لم يسمع سؤالها.

– سيدخل "نيكولاس" "هارفارد" إذن؟ ألا تعتقدين أنه من الأفضل أن تنتظري حتى يعرف الذهاب إلى الحمام بمفرده.

– إنك عجيب! لماذا ترفض الرد علي يا "كونال"؟

– أغلقي فمك يا "كاثلين".

انفجرت "كاثلين" ضاحكة ثم قالت:

– حسنا، حسنا. سنرى عما قريب. تصور أن "نيكولاس" قال "ماما" منذ يومين...

تعجب "كونال":

– غير معقول!

– لا، معقول. "فرانكو" ادعى أنه قال "بابا" لكنني تمسكت بأنها "ماما"...

ألقت "شارون" نظرة سريعة على "كونال" و"كاثلين" اللذين كانا يتحدثان بكل ود ولكن بصوت منخفض حتى إنها لم تكن تسمعهما. كانت مفتونة بوسامتهما وطبقتهما الاجتماعية وثقتهما بنفسيهما وقالت لنفسها –ونزعة من الغيرة تجتاحها– إنهما لا يرتابان في شيء بالتأكيد.

سألها "فرانكو" –الذي لاحظ اهتمامها بهما–:

– ألا ترين أن آل "ديفريل" يتمتعون بصفة فريدة؟ من الممكن أن نقول إنهم مميزون عن بقية الناس. إنهم واثقون بأنفسهم ومتأكدون أيضا من قوتهم على المحيطين بهم.

جالت فكرة أن طفلها الصغير سيرث هذه الصفات –التي يمتلكها "فرانكو" – هو الآخر بقدر كبير– بخاطرها.

قالت ملاحظة:

– إنك أيضا من آل "ديفريل".

قال معترفا:

– هذا صحيح. لكنني أنا وأختي "أنجيلكا" لم نعرف ذلك إلا مؤخرا، كنا نعتبر أنفسنا من آل "دي فرنزا".

كانت "أنجيلكا" ترقص برشاقة على الحلبة.

قالت "شارون":

– أختك جميلة حقا.

– شكرا. هذا هو رأيي أنا أيضا.

توجه نظر "شارون" إلى "أماريلو سميث" الذي كان بصحبة شقراء جذابة.

– أتريدين الرقص؟

دهشت "شارون" من المفاجأة التي ألقاها "كونال" عليها لأنها لم تره لدى مجيئه. تلعثمت المرأة:

– أنا..

أمسكها "كونال" من مرفقها وأجبرها على الوقوف وهو يقول لـ"فرانكو":

www.elromancia.com

– عفوا ولكنني سأختطفها منك بعد لحظة.

– لكنني أرجوك أن..

– "كونال"! يا للمفاجأة!

أحست "شارون" به يتصلب وتعرفت في الحال على أبويه اللذين اقتربا منهما وتسمرت في مكانها.

تعجبت الأم التي ترتدي الجواهر من رأسها حتى قدميها:

– لم نتوقع رؤيتك هنا. لماذا لم تخبرنا بمجيئك؟ كنا سنتدبر الأمر حتى تجلس معنا على مائدتنا.

أجابها "كونال" –وهو يقبلها–:

– قررت المجيء في اللحظة الأخيرة. و"كاثلين" دعتنا إلى مائدتها.

قالت هذه الأخيرة –من ناحية المائدة التي تجلس عليها–:

– مساء الخير يا "ريبكا". مساء الخير يا عمي "لوكاس".

ألقت "ريبكا ديفريل" ابتسامة محتفية بها.

– مساء الخير يا عزيزتي. مساء الخير يا "فرانكو". تبدوان في حالة جيدة الليلة عن الحالة التي كنتما عليها في ليلة ميلاد الصغير. لقد أخفتمانا حقيقة!

بينما كان "فرانكو" مبتسما كانت "شارون" متسمرة وهي تتابع تبادل التحية بين الجميع وهي تحاول ألا تشعر بالاحمرار تحت نظرات "لوكاس ديفريل" المتفحصة.

قالت "ريبكا":

– "كونال"، هلا قدمت لنا رفيقتك؟

– بكل سرور! أمي، هذه "شارون جراهام". "شارون" اقدم لك أبي وأمي: "لوكاس" و"ريبكا ديفريل".

بدا ضوء الصالة يضعف بينما كانت المرأة تشعر بالاضطراب. لكن لحسن الحظ أمسكتها يد "كونال".

تمتمت قائلة:

– كيف حالكما؟

حياها "لوكاس ديفريل" بلطف لكن الوميض المتفحص البادي في عينيه أخافها.

كررت "ريبكا" وكأنها تفكر:

– "شارون جراهام".. اسمك يذكرني بشيء. إننا..

قاطعها "كونال":

– لا. لم تتعارفا من قبل. بعد إذنكما سنذهب للرقص.

– تفضل يا عزيزي. ولكن أسعدنا بالانضمام إلينا.

قال "كونال" –الذي كان يجذب "شارون" إلى حلبة الرقص–:

– سنرى ذلك.

أطاعته المرأة مثل الإنسان الآلي ولم تسمعه حتى وهو يناديها:

– "شارون"! لا تضطربي!

– هل كنت تعلم بمجيئهما؟

– لا. كنا سنأتي حتى لو كنت قد علمت بمجيئهما.

– لقد تعرفا على اسمي.

– أشك في ذلك.. إنهما –على أية حال– رقيقان ولن يفعلا بك أي شيء.

– رقيقان؟ إنهما لم يرغبا أن تتزوجني وتصرفا بطريقة ما حتى لا تعرف أن طفلي منك أنت.

– "شارون"، إنك تستنتجين نتائج ليس عليها أي دليل. قلت لك

www.elromancia.com

من قبل وكررت أنهما لم يفعلا أي شيء للتفرقة بيننا. اهدئي.

– من تعرف علي من عائلتك؟ "كاثلين"؟ هل سخرت مني؟

بدا صوتها محطما.

أجابها بنبرة واثقة:

– يعرف والدي فقط أنني أخرج معك وأنك تنتظرين طفلا. أدرك أنهما يثيران شعورك لكنني سأبوح لك بسر: إنهما عطوفان!

– اسمح لي أن أشك في هذا..

– سأؤكد لك الحقيقة. عندما كنت صغيرا كان الاثنان يحمياني. سأخبرك بقصة صغيرة: أردت أن أقلد أبي ذات يوم عندما كنت في الرابعة أو الخامسة من عمري ودخلت مكتبه – وكان هذا محظورا علي فعله– من أجل أن أجسد دور رجل الأعمال. وقعت على كل الأوراق التي وجدتها مثلما رأيته يفعل ذلك. لقد وقعت باسمي بحروف كبيرة. إنني حزين لأنك لم تري هذا. كان عظيما!

بدأت أسارير "شارون" تنبسط مما شجعه على مواصلة حديثه:

– ظننت أن ساعتي الأخيرة قد حانت عندما اكتشفت أمي وجودي. لم أرها غاضبة هكذا أبدا. ثم وصل أبي وعندما رأى مدى ذعري قال: إنه أعطاني تصريحا باللعب في المكتب. بمجرد أن خرجت أمي قال لي: إن فعلت ذلك ثانية فإن قدميك لن تنسيا هذا فترة طويلة!

– وهل فعلت ذلك ثانية؟

– لا، أبدا. كنت جبانا. لكنه لم يضربني أبدا. ولا أمي أيضا. إنهما عطوفان كما قلت لك.

– ليس واجبا أن تدافع عنهما. إنهما يحميانك دائما، هذا كل ما في الأمر. إنهما أب وأم نموذجان حقا..

فضل "كونال" أن يغير أسلوبه.

– أرى أننا تقدمنا خطوة إلى الأمام.

سألت –وهي حذرة ومتحيرة في نفس الوقت–:

– ما هذه الخطوة؟

– إنك تمسكين بذراعي وتشعرين بالارتياح.

توترت المرأة فجأة لكن كان واجبا عليها أن تعترف بأنه محق.

تطرقت نظراتها بعد ذلك إلى الأشخاص الذين تراهم: "أنجيلكا" التي تدخل في حوار مدهش مع فارسها و"كاثلين" و"فرانكو" الزوجان المحبان و"أماريلو" مع الشقراء التي يمسكها بين ذراعيه ووالدا "كونال" الواقفان على حافة حلبة الرقص، كل هؤلاء الأشخاص يمثلون جزءا من حياة "كونال" لكنهم لن يدخلوا حياتها أبدا.

– "كونال"؟

– نعم.

– شكرا على محاولتك أن تجعلني مطمئنة.

– هذا أمر طبيعي.

– شكرا أيضا لتدخلك عندما ظنت والدتك أنها ستعرفني.

إن "كونال" أيضا تصرف على هذا الشكل دون أن يسأل نفسه أي سؤال. لقد أدرك الآن فقط أنه حاول حمايتها.

أحست "شارون" فجأة بالاضطراب. أسندت رأسها إلى كتف "كونال". لقد شعرت بالاطمئنان لوجودها بجانبه.

www.elromancia.com

أغمضت عينيها وفكرت مرة أخرى في مجيء والدي "كونال". لقد فعلت كل شيء من أجل أن تتجنب أي جرح أو ذل. مهما تكن أسباب موقفه فإنها تدين له بالجميل. بالإضافة إلى ذلك فإنها شعرت بالارتياح بين ذراعيه وتمنت أن تخلد لحظات الانسجام هذه.

الفصل الرابع

لقد قرر "كونال" الذهاب إلى "سوانسا" بطائرته الخاصة. لكن "شارون" وجدت نفسها بمفردها في المطار في اللحظة الأخيرة لأن هناك أمرا مهما اضطره إلى التواجد في "بوسطن". لقد تلقى الطيار تعليمات الإقلاع بدونه ثم العودة إليه مرة أخرى. حطت الطائرة بمطار صغير قريب من "سوانسا" حيث كانت في انتظار المرأة سيارة بسائقها.

لقد رأت "شارون" صور "سوانسا" في المجلات لكن الحقيقة تجاوزت خيالها وتوقعها. ظهر رجل وقور جدا أعلى السلم الفخم واقترب ليفتح لها باب السيارة.

استفهم منها بنبرة بريطانية واضحة:

- الآنسة "جراهام"؟ إنني "وينستون لورانس" كبير خدم "سوانسا" نحن سعداء لوجودك بيننا.

أجابت "شارون" -التي لم تعتد على هذا القدر من الأدب-:

- شكرا.

سألها -وهو يرمق الخادم الآخر الذي يحمل حقائبها-:

- هل كانت رحلتك جيدة؟

نثرت الرياح شعر المرأة.

- كانت مضطربة إلى حدما بسبب حالة الطقس السيئة.

أخذت "شارون" الوقت الكافي للإعجاب بواجهة المنزل الكبير المحاطة بهالة عظيمة من النفوذ.

على الرغم من جهودها الجبارة في تهدئة نفسها وإرجاع رد فعلها

www.elromancia.com

إلى فخامة المكان إلا أن هذا الإحساس استمر حتى عندما دخلت الرواق الرئيسي الذي يظهر فيه سلم فخم من المرمر.

ظلت "شارون" صامتة من فرط إعجابها، ورفعت رأسها نحو النجفة المتدلية من السقف المرتفع حوالي عشرة أمتار بينما كان الصوت الجميل للقيثارة يداعب أذنيها.

اقتادها رئيس الخدم إلى مصعد خاص مختف وراء السلم الكبير الذي أوصلهما إلى الطابق الرابع.

قال -وهو يفتح لها باب الجناح الواقع في نهاية الرواق الطويل-:

- السيد "ديفريل" يقيم في هذه الغرفة عندما يقوم بزيارتنا، الجناح المحجوز للسيد "دي فرنزا" وزوجته يوجد في الطرف الآخر من هذه الصالة. نأمل أن يصطحبا السيد الصغير إلى هنا عما قريب.

دهشت "شارون" قائلة:

- تقصد ابنهما الصغير؟

- نعم. إنه سيرث "سوانسا" ذات يوم.

نظر إليها "وينستون لورانس" وكأنه ينتظر شيئا ما.

سألها في النهاية:

- أية حجرة ترغبين أن يضع فيها "بيتر" حقائبك؟

- أية حجرة يستخدمها السيد "ديفريل" عادة؟

- تلك الحجرة الموجودة إلى اليسار.

- سآخذ إذن الحجرة الأخرى.

أذعن لكلامها قائلا:

- حسنا جدا.

أشار إلى "بيتر" الذي اختفى وراء باب ذهبي اللون حاملا معه

حقائب المرأة.

- طاقم الخدم تحت أمرك يا آنسة "جراهام". لا تترددي في الاتصال بنا. سنبذل قصارى جهدنا حتى تستمتعي بإقامتك معنا.

قالت -دون أن تعرف إذا كانت هناك ضرورة أم لا لمنحه بقشيشاً:

- شكرا!

قررت أن تكون سخية مع "بيتر" لكن هذا الأخير رفض المال الذي منحته إياه وقال لها مفسرا:

- نحن لا نقبل بقشيشا من آل "ديفريل" أو مدعويهم. أتمنى لك إقامة سعيدة.

بمجرد أن أصبحت بمفردها بدأت المرأة تتفحص المكان. كان الصالون المزين بشكل رائع منفتحا على شرفة واسعة. دفعها الفضول إلى إلقاء نظرة على حجرة "كونال". كانت الحجرة مناسبة تماما حتى صعقت تماما مما جعلها تبادر بإغلاق بابها والعودة إلى حجرتها.

لكن فخامة المنزل وقيمته لا تفسران حقيقة الخوف والرغبة الملحة في الفرار من هذا المنزل.

همست في قرارة نفسها -وهي تربت جبهتها-:

- إنك فقدت رشدك يا فتاتي!

انطلقت العاصفة في هذه اللحظة بالتحديد. بدأت الأمطار تهطل بشدة على النوافذ وكان صوت الرعد عاليا.

ارتجفت "شارون" ثم لامت حماقتها. لن يصل "كونال" قبل السادسة مساء. أمامها إذن الوقت الكافي لترتيب حقائبها والتآلف مع المكان.

أخبرتها رسالة وصلت في السابعة بأنه سيتأخر. شعرت بالضيق

www.elromancia.com

وفضلت تناول العشاء في حجرتها.

هدأت العاصفة بالتدريج لكنها كانت لاتزال تمطر. قررت "شارون" أن تأخذ حماما ساخنا حتى يهدئ أعصابها المستشيطة.

تمددت في المغطس المصنوع من المرمر على شكل قوقعة وواصلت التفكير. لقد أحست بالندم على عدم وصولها في نفس الوقت الذي سيصل فيه "كونال". إن طول الانتظار هذا أحيا شكوكها ومخاوفها من الخطة التي رسمتها.

هناك شيء ما يحزنها، شيء ما مهم قد نسيته لكنها مع ذلك لا تستطيع تحديده.

عند خروجها من الحمام لفت نفسها في روبها القطيفة القديم. لقد تحولت زرقته الفاتحة -من كثرة غسيله- إلى اللون الرمادي لكنها كانت تحب ملمسه الناعم ومن ثم لا يمكنها أن تبتعد عنه.

لما كانت لا تجد أي شيء تفعله ألقت بنفسها على الأريكة القطيفة خضراء اللون الموجودة أمام المدفأة، وقد وجدها "كونال" على هذا الحال عند وصوله بعد ساعتين.

قال مستفهما -وهو يشير إلى "بيتر" بوضع حقائبه في حجرته-:

- أفقدت الأمل في رؤيتي؟

- لم أكن أعلم فيما أفكر.

كانت المرأة لا تكذب لأنها كانت متحيرة منذ وصولها بين الخوف من رؤيته والخوف من أن تعلم أنه قد غير رأيه.

تنهد وهو يجلس بالقرب منها على الأريكة:

- قضيت يوما صعبا. ظننت نفسي أنني لن أنتهي أبدا.

كان الإحساس بقربه منها يزيد عصبيتها.

- تبدو متعبا.

تأملها "كونال" وهو يفكر ثم استند إلى ظهر الأريكة وفرك جبهته.

- وأنت تشعرين بالارتياح؟

- نعم.. انتظرتك هنا بمفردي دون أن أفعل شيئا..

- ألم تخرجي من الجناح؟

- فضلت البقاء هنا. "سوانسا" ترهقني قليلا.

- أتشعرين بالخوف؟

- لا أعرف بالضبط الكلمة الصحيحة. لنقل إنني أشعر بنوع من الارتياب كما لو كنت غير مرغوبة حقيقة.

- أتقصدين أن طاقم الخدم..؟

- مطلقا. لقد بذلوا قصارى جهدهم من أجل إسعادي. إنه هذا المنزل أو الفندق. إنه "سوانسا".

تحول الضحك إلى التبرم، وبدأ "كونال" يدلك جبهته بشكل متزايد.

- لم أكن أظن أنك حساسة إلى هذه الدرجة.

- لست كذلك في العادة. "كونال" ماذا حدث؟ يبدو أنك على غير ما يرام.

- إنني بخير. إنني متأكد من أنك ستغيرين رأيك عندما تتعرفين على "سوانسا". سأريك المكان كله غدا.

- ماذا بك يا "كونال"؟ لماذا تدلك جبهتك هكذا؟

- قلت لك: إنه لا يوجد أي شيء. مجرد صداع بسيط.

- هل تناولت أي شيء؟

www.elromancia.com

– لا، سأصبح على ما يرام. عدا هذه المشكلة البسيطة يعجبك كل شيء هنا؟

– بالتأكيد. إنه مدهش للغاية!

ألقى "كونال" نظرة سريعة باتجاه شعاع الضوء الآتي من الحجرة اليمنى.

– هل أخذت هذه الحجرة؟

– أخبرني "وينستون لورانس" بأنك تستخدم الحجرة الأخرى.

– حجرتان منفصلتان؟ ستجدين صعوبة في إنجاب طفل.

فرك "كونال" جبهته مرة أخرى.

– أتشعر بالم في رأسك حقيقة؟

– لا شيء.

– غير معقول! يتصرف الرجال مثل الأطفال لدى إحساسهم بالألم. إنهم يرفضون تقبله. لكن هذا لا يدهشني وخصوصا معك.

– يبدو أنك تعرفين الرجال كثيرا.

تمتمت قائلة:

– إنني أعمل معهم منذ سنين. دعني أساعدك.

بدأت "شارون" تدلك صدغه وجبهته بحركات دائرية. بدأ الألم يتلاشى بالتدريج.

سألته قائلة:

– وهل عملك هو الذي يسبب لك ألم الرأس هذا؟

– أحيانا.

– ألا يوجد بين أفضل موظفيك بعض الأشخاص القادرين على مساعدتك في تحمل عبئك؟

– إنني محاط بمعاونين من الطراز الأول.

– إنك لا تعرف إذن الانتداب.

كان واضحا أنها قلقة عليه وقد شعر هو بذلك.

– إنني المسؤول في نهاية الأمر عن اتخاذ القرارات. لا يحق لي الوقوع في الخطأ.

اعترفت "شارون":

– إنني لا أنظر إلى الأمور من هذه الزاوية.

كان "كونال" يدير إمبراطورية تدر عليه ربحا كبيرا لكن يبدو أن تكلفة ذلك غالية.

– أصابعك رائعة. لم أندم على أنني شعرت بالم في رأسي.

ازدادت ضربات قلب "شارون" لدى سماعها هذا الكلام. سألته:

– أتشعر بتحسن؟

– نعم. روبك هذا جميل.

أجابت وهي تتراجع:

– إنه قديم.

قال مؤكدا بسخرية:

– أرى أنه توجد أشواك.

– عفوا؟

– الأشواك هذه الأشياء البسيطة التي تقرص! سأنزف دما إذا أخذتك بين ذراعي.

صمت لحظة ثم أضاف:

– وأنت ماذا فعلت في الأيام الأخيرة التي لم أرك فيها؟

على الرغم من براءة السؤال إلا أن بداية هلع تمكنت من "شارون".

www.elromancia.com

– لقد سويت بعض المشاكل في المكتب.

قال "كونال":

– نحن لا نعمل مع الشركة التي تعملين بها لكنها تتمتع بشهرة طيبة.

– لقد اخترتها لهذا السبب على وجه الخصوص. لم أكن أريد أن تربطني بك علاقة في العمل.

– ومع ذلك أتيت لتطلبي مني طلبك.

– إنها مشكلة من نوع خاص.

لمعت "شارون" وميضا من الدعابة في عيني "كونال" قبل أن تضيف:

– أتشعر بتحسن الآن؟

– نعم. أعتقد أنني سأذهب للسباحة. ما رأيك في أن تأتي معي؟ ستشعرين بالارتياح.

– السباحة؟ لكننا في منتصف الليل!

– هل لديك أي نشاط آخر تعرضينه علي؟

لما كانت تخشى سوء التفاهم وافقت على اقتراحه.

– لا، لا. إنها فكرة طيبة.

*****

نزل "كونال" إلى الماء غاطسا بسرعة عندما نزلت "شارون" إلى حمام السباحة من خلال السلم الصغير. كان هناك ضوء خفيف يعم أرجاء حمام السباحة.

بدأت تسبح بطول حمام السباحة ذهابا وإيابا حتى شعرت

بالتعب؛ ومن ثم لجأت إلى جانب حمام السباحة حيث وقفت تلاحظ "كونال" الغاطس تحت الماء دون أن يبدو عليه أي أثر للتعب.

غير الرجل وضعه فجأة ليتجه نحوها وأمسكها بذراعيه.

أدركت "شارون" أن ضربات قلبها المتلاحقة لا تعود إلى التعب فقط. أرادت أن تتخلص من الإحساس الذي يثيره قربه منها فسألته:

– أتشعر بأنك على ما يرام الآن؟

– لقد تلاشى ألم رأسي تماما.

نظر إليها نظرة فحواها الدفء والحنان وسألها هو الآخر بدوره:

– وأنت؟ هل مازلت تشعرين بالتوتر؟

أومأت برأسها على الرغم من نوع التوتر الآخر الذي يعتريها.

اقترب منها بشدة لكنها دفعته وقالت:

– لا ينبغي أن تفعل هذا.فربما يدخل أحد علينا.

– حمام السباحة مغلق الآن. بالإضافة إلى أنني أغلقت الباب.

– أوه!

– أتشعرين بالاطمئنان الآن؟

– لا يا "كونال"، ليس هنا.

– لا تخشي شيئا. ثقي بي.

– أثق بك؟

– نعم، ثقي بي.

كان كلام "كونال" منطقيا لكن "شارون" وجدت صعوبة في التركيز.

– لقد عقدنا صفقة يا "شارون". ولا يمكنني الانتظار.

– ليس ذلك الوقت المناسب.

www.elromancia.com

– لماذا؟ ماذا تريدين أكثر من ذلك؟ السحر تحت ضوء القمر؟ والموسيقى والزهور؟ كل هذا متاح أمامك مدة أسبوعين كاملين.

– أعلم هذا، لكن سامحني.

كانت "شارون" تتلعثم وهي تتكلم ثم أضافت:

– لابد.. لابد أن أعود إلى حجرتي.

تركها "كونال" تنصرف دون أن يفهم السبب ونظر إليها وهي تسرع بالخروج من الماء. كان يود أن يتبعها لكنه أجبر نفسه على عدم التحرك.

كان يفتقد –كعادته– إلى الصبر لكن مع "شارون" كان "كونال" يسير عكس طبيعته تماما. لكنه منى نفسه بالتاني والتروي حتى تلين "شارون" معه. إنها مجرد مسألة وقت.

غاص تحت الماء مرة أخرى وخرج من الطرف الآخر في نهاية حمام السباحة وعاود الغطس مرة أخرى.

الفصل الخامس

لم يستطع "كونال" النوم في هذه الليلة على الرغم من تعبه الجسماني واستيقظ وهو متعكر المزاج. بعد أن طلب القهوة وعصير الفاكهة و"الكرواسون" من أجل الفطور ارتدى ملابسه وتوجه نحو حجرة "شارون".

كان هناك شعاع ضوء خافت ينسدل من النافذة أظهر له أنها مازالت نائمة. فتح الستائر عن آخرها واستدار ناحية السرير.

كانت المرأة متمددة على ظهرها وكان شعرها متناثرا على أذنها. شعر "كونال" بالرغبة في الاقتراب منها. لكنه اكتفى بمداعبة راحة يدها فقط. واستعاد الذكريات.. لكنه شعر بالندم.

بمجرد أن أدار عقبيه أطلقت "شارون" تنهيدة. كانت عيناها مغمضتين وخمنت في الحال تعكر صفو مزاجها لما أحست بالتوتر العصبي يشع منها.

أجبرتها الشمس التي تغمر الحجرة على فتح عينيها. لقد عجزت طوال الليل عن التوصل إلى النوم. وظلت تتقلب وتتقلب في سريرها وهي تستعيد محاولة "كونال" التقرب منها في حمام السباحة لكنها لم تفهم سبب ابتعادها عنه.

ألا توشك بسلوكها هذا على عرقلة خطتها؟ لقد خطر ببالها أن أسبابا معقدة –لم ترد الإفصاح عنها– دفعتها إلى التوجه إلى "كونال".

أكدت الطرقات على باب الصالون –والتي تبعها صوت عربة الفطور التي يدفعها أحد الخدم إلى الحجرة– أنه لا يمكنها البقاء

www.elmomancia.com

بالسرير.

دخلت إلى الصالون بعد دقيقتين مرتدية روبها القطيفة وشعرها أشعث. رآها "كونال" على هذه الحالة المثيرة فاكتفى بأن يقول لها بنبرة عادية:

– صباح الخير. استيقظت في الموعد الصحيح لتناول فطورك والقيام بنزهة معي.

– نزهة؟

– على الحصان. هل ركبت حصانا قبل ذلك؟

– أخذت عدة حصص في الفروسية عندما كنت صغيرة..

أكد "كونال" بثقة –جعلت تردد "شارون" يتلاشى –:

– هذا سيفيدك إذن في الركوب. لن تكون النزهة على أية حال سباق حواجز! بالمناسبة هل أحضرت بنطلون چينز معك؟

أومأت المرأة برأسها بالإيجاب.

قال الرجل:

– حسنا. سأطلب من السائس أن يجهز حصانا آخر حتى تنتهي من شرب قهوتك.

*****

بعد أن سلكا طريق الشواطئ الصخرية قرر "كونال" والمرأة أن يلفا حول "سوانسا" وهما يسلكان دربا متعرجا يطوق الغابة والبراري. كانت الرياح قد طردت السحب الكثيفة لليلة البارحة إلى المحيط. كان الهواء منعشا والسماء تشوبها زرقة جميلة والشجر يزين المكان بروعته. كان اليوم رائعا لكن بالرغم من ذلك كانت "شارون" تشعر

بالحزن الشديد.

مالت إلى الأمام لتربت أنف حصانها. شعر "كونال" بالإحباط لما لم يشعر بتجاوبها معه وتخلى عن أي محاولة للتحدث معها. إذا لم تجبر نفسها على الاسترخاء فإن الطفل الذي تحلم به لن يخرج إلى هذه الدنيا.

فزع حصان "شارون" عندما مر بحيوان صغير. نصحها "كونال" قائلا:

– استرخي. أمسكيه بيديك.. حصانك يشعر بأنك عصبية.

– متأسفة.

– لا عليك. أترغبين في بعض الراحة؟ اتبعيني إذن.

اختار "كونال" هضبة تطل على جزء من "سوانسا" وضواحيها. أنزل "كونال" المرأة من على الحصان بكل رقة وفرش غطاء خلف حصانه ثم ترك عنان الحصانين حتى يمكنهما من الرعي في هدوء. شاهدته "شارون" يفعل ذلك وهي تشعر بالخجل من أن تكون خائفة.

سألته أخيرا –لتقطع حاجز الصمت–:

– ألا تخشى أن يبتعدا؟

– لن يذهبا بعيدا وسيعودان عندما أستدعيهما.

– إنك روضتهما جيدا. أعشق ركوب هذا الحصان لكنني أشعر بالم في مقعدتي.

– حمام ساخن سيشفيها.

جلس "كونال" على الغطاء الذي فرشه على الأرض وجلست "شارون" بالقرب منه. قدحت زناد فكرها لتبسط الجو بينهما لكنها

www.elromancia.com

لم تجد أي شيء تقوله.

كانت "بانوراما" الجمال تتراءى أمامها: ألوان الخريف الموجودة في كل مكان وسطح المحيط الذي يتلألأ مثل الماسة. لكن "سوانسا" هو الذي كان يجذب الانتباه. لقد بني هذا المنزل على هيئة قوقعة كبيرة من الحجارة وسط هذا المنظر الساحر.

سالته أخيرا بفضول:

– ما الذي جعلك تقول منزلي عند تحدثك عن مثل هذا المكان؟

– "سوانسا" لم يكن حقيقة "منزلي". لقد كبرت في منزل والدي في "بوسطن". لنقل إنه منزلي الثاني. لقد قضيت فيه إجازات كثيرة وخصوصا في الصيف. اقول أحيانا إن "كاثلين" مجنونة لكنني في الحقيقة سعيد لأنها احتفظت بـ"سوانسا" لنا مدى الحياة.

– لنا؟

– المراد الأسرة. إنني سعيد دائما عند مجيئي هنا حتى عندما يوجد عملاء.

– لا يمكن القول إنهم يضايقونكم كثيرا. إنك تستخدم مصعدا خاصا لطابق خاص بكم وطاقم خدم يبدو أنه مخصوص لخدمتكم. إنكم أيضا تملكون إصطبلات خاصة بكم.

شاهدها "كونال" وهي تفكر.

– إنها المرة الأولى التي تتكلمين فيها منذ الصباح!

أجابته –وهي تغير وضعها لتخفي عصبيتها–:

– إنك لم تعد ثرثارا.

– لقد حاولت على الأقل.

– حسنا. لنقل إنني أحاول الآن.

– لماذا تجلسين بعيدا عني إذن؟

ضحكت "شارون" ضحكة عصبية.

– لست بعيدة عنك! هذا الغطاء صغير.....!

قال "كونال" –بعد أن أشار بعينيه إلى المسافة التي تفصلهما:

– اسمعي إنني أعتبر نفسي ذكيا. لكنني أعترف بأنني أجد صعوبة في فهمك.

ثنت المرأة ركبتيها حتى ذقنها ولفت ذراعيها حول ساقيها ثم قالت له:

– لست في حاجة لأن تفهمني.

أكد بصوت هادئ:

– إنك مخطئة. إنك ترغبين في طفل لكن المسافة بيننا بعيدة. أعني أننا لن نستطيع التفاهم.

كاد الخوف يخنق "شارون". هل أفسدت الأمور لدرجة تجعله يتقهقر؟ إنه محق تماما: منذ وصولها إلى "سوانسا" وهي تتصرف بلا أي منطق، فأحيانا تشعر باستعدادها وفي اللحظة التالية ترفض الاقتراب منه.

– هل غيرت رأيك يا "شارون"؟

اعترضت قائلة:

– لا، لا. ليس الأمر هكذا.

قال بنبرة تنم عن الإحباط:

– إنني لا أفهمك إذن. ماذا تريدين؟ أتريدين ضوء القمر والورود التي حدثتك عنها مساء أمس؟ أم أنك تتمنين أن نتعرف إلى بعضنا مرة أخرى؟

هزت رأسها وهي تشعر بالحزن.

– بالتأكيد لا. لقد عقدنا صفقة.

– إنك لا تكفين عن تكرار هذا. لكن كل فرد من الحزبين المتفقين على العمل لابد أن يثق بالآخر. وأرى أنك غير ذلك.

– نحن لم نتواجد هنا إلا منذ أربع وعشرين ساعة.

– وليس أمامنا سوى خمسة عشر يوما!

أمسك "كونال" حجرا وألقاه بعيدا بحركة عنيفة بينما كانت المرأة تستمع إلى ضربات قلبها المتلاحقة.

تلعثمت قائلة:

– الأمر صعب جدا على عكس ما تصورته..

– لماذا؟ إنك تستجيبين لي في الأوقات الحلوة. لكن هناك شيئا يتدخل في ذلك للأسف ويصيبك بالشلل. ما هذا الشيء؟ حدثيني عنه يا "شارون".

أحست المرأة بأنه يحاول تعريتها تماما ليكتشف سرا ترغب حتما في إخفائه.

– أتفعلين هذا عن عمد؟ هل هذه طريقتك لعقابي؟

صاحت وعيناها مليئتان بالمعاناة:

– لا! لا.. لا أحاول معاقبتك.

– ما هذا الذي يحدث إذن؟

تأملت "شارون" الأفق ولم ترَ إلا صورة الفتاة الصغيرة الخائفة في ليلة توارى فيها القمر.

– منذ عشر سنوات.. في تلك الليلة التي قلت لي فيها: إن هذا الطفل لا يمكن أن يكون منك ذهبت إلى مستنزه عام وجلست هناك

عدة ساعات.، ذرفت الدموع من عيني بشدة. ثم فكرت في طريقة للانتقام منك. عند العودة إلى منزلي أعلمت والدي بأنني حامل لكن والد الطفل لا يريد الاعتراف به. أصبحت أمي شاحبة مثل المتوفاة وغادر أبي الغرفة دون أن ينبس ببنت شفة. كنت أفكر في ذلك الوقت في انتقامي منك. في الليلة التي فقدت فيها الطفل ووجدت نفسي بمفردي في المستشفى أعاني نزيفا وآلاما موحشة لدرجة أنني ظننت أنني سأموت، حاولت التفكير في أسوأ شيء يمكنني أن أفعله بك.

شعرت المرأة برعشة طويلة وصمتت لحظة وألقت نظرة خلسة. كان الرجل يعيرها انتباها كبيرا.

– لم يكلمني والدي بعد ذلك أبدا. كان يصدق روايتك. لم نتقابل أنا وأمي منذ ذلك الوقت إلا خارج المنزل. لكنني مع ذلك ذهبت إلى مراسم دفن أبي. شاهدت تابوته وفكرت في الطريقة التي فقدته بها وفكرة الثأر لنفسي تطاردني.

دهش "كونال" من سرد حكايتها هذه، وصدم لعدم تفكيره فيها قبل ذلك. لما أحس بالذنب أدرك حينذاك أنها عانت مثله إن لم تكن قد عانت أكثر منه.

– لم أكن أبالي بأي شيء يا "شارون".

– هذا لا يدهشني. بعد أن حصلت على "دبلومتك" انخرطت في عالم الأعمال دون أن تلقي نظرة إلى الوراء. أما أنا فلم أكف عن القول لنفسي إنني سأنتقم منك ذات يوم. ثم تخليت عن هذا في يوم آخر. صدقني إنني لم أحاول عقابك.

– ماذا تريدين إذن؟

قالت بلا تردد:

– أريد طفلا.

– لكن.. على حسب ما فهمته منك إنك لا تريدين أي طفل. إنك تريدين طفلا مني أنا.

– بالضبط.

– لأنك إذا وصلت إلى أغراضك فإنك هكذا قد ثارت لنفسك.

لما كانت تنظر إليه بدهشة أضاف قائلا:

– هذا ما قلته لي في المكتب. تذكري جيدا.

– إن ما أردته هو الحصول على تبرير لنفسي. إذا أصبحت حاملا فإن هذا سيكون الدليل على أنني قلت الحقيقة منذ عشر سنوات.

اجتاح إحساس بالعجز "كونال". ماذا يمكنه أن يقول؟ لأول مرة منذ عشر سنوات يعيش نفس الليلة المزعجة.

– متأسف لأنك عانيت كل هذا. كان يجب أن أحاول مساعدتك.

– إنك لم تشعر بمسؤوليتك.

– لكننا كنا قريبين... إذا لم أشعر بمثل هذه الخيانة... إذا لم نكن صغيرين...

أسهب في أفكاره ثم قال بدهشة:

– كيف يستطيع أب أن يصدق شخصا غريبا أكثر من ابنته؟

إذا أصبح أبا ذات يوم –في حالة حدوث المعجزة– فإنه سيعمل على مساعدة ابنه ويصدقه دائما. فضل الرجل مرة أخرى أن يطرد من ذهنه الفكرة المؤلمة لعقمه. ربما يتبنى ذات يوم طفلا..

– كان يكفي أن أقول له: إنك من آل "ديفريل" حتى يصدقك..

إن اسمك يلقى الاحترام في أي مكان عن اسم أبي.

– إنك تبالغين!

– مطلقا. وأنت تعلم هذا وخصوصا منذ أن رشح عمك نفسه في انتخابات الرئاسة. كان والدي مسرورا جدا لفكرة أن يكون قريبا من آل "ديفريل" عن طريق زواجي بك. عندما أخبرته بأنك ترفض الاعتراف بالطفل أهانني. كان يرى أنني ضيعت فرصة ممتازة! وعاملني معاملة المستهترة لعلاقتي برجلين.

ارتعد صوت المرأة لكنها استطردت بسرعة:

– أظن أن هذه هي كلماته الأخيرة التي حدثني بها.

– ياله من وحش!

– لا. إنه رجل عمل يكد طوال حياته وكان يحلم بشيء أفضل.

– لكنه والدك! كان يجب أن يصدقك.

– نعم. وأنت أيضا كان يجب أن تصدقني.

– تعلمين أن الأمر مختلف هنا.

– وهل أنت واثق بما ادعيته؟

أرجعت خصلة شعرها خلف أذنها وأدركت أنها لم تجعده. أحست بالارتياح لأنها فتحت قلبها للمرة الأولى منذ سنوات كما لو كانت قد تخلصت من جزء من عبئها.

قال "كونال":

– خشيت أن يكون النزاع بيننا كبيرا جدا لدرجة أنه لا يمكننا الاستمرار.

تملك المرأة خوف – لا مبرر له–، قالت "شارون":

– لم أبح لك بكل هذا من أجل أن تجعل الأمور مستحيلة.

www.elromancia.com

– ربما ولكن..

– صدقني. كان يجب أن أرغم نفسي على المجيء لأطلب منك هذه الخدمة. سأتجاوز هذا أيضا.

– ما هذا الذي ستتجاوزينه؟

– عدني ألا تضحك.

– أضحك! إنني سعيد حتى إنني لن أبكي!

– أنت؟ تبكي؟ هذا سيدهشني حقا!

– أجد بعض الصعوبة في امتلاك شركات تدر أرباحا بالمليارات..

– إنك لا توشك أن "تمتلكني".

تنهد "كونال":

– لا أقصد هذا. وضحي لي ما حدث.

– إنني فعلت هذا على أنه اتفاق. لكنني لا أتصوره دون مشاعر. إنني حمقاء، أليس كذلك؟

سألها مستفهما وهو هادئ:

– عن أي مشاعر تتحدثين؟

– إنني أحتاج إلى الإحساس بالارتياح معك بعد كل هذه السنين.

– لابد أن تثقي بي يا "شارون".

– لا يهمني أي شيء سوى إنجاب طفل يا "كونال".

أثاره هذا الحوار لكنه عقد الأمور أيضا. لقد نشأت علاقة بينهما ولازال لا يعرف اتجاهها الحقيقي. إنه لا يعرف الآن إلا شيئا واحدا: إنهما ابتعدا عن هذه الصفقة الباردة والمتفق عليها منذ عدة أيام.

أطلق "كونال" تنهيدة عميقة ثم نهض بسرعة ومد يده إليها. اقترح عليها قائلا –بصوت مليء بالسعادة–:

– هيا بنا نعود لتناول الغداء؟

*****

ألقى "كونال" نظرة من حوله ولم ير أي شيء غير عادي وأعاد النظر إلى "شارون".

صاح قائلا:

– أسأل نفسي عم يدهشك منذ نصف ساعة، وأحس بأنني أتناول الغداء بمفردي.

ابتلعت المرأة الملعقة الأخيرة من حساء "الكركند" قبل أن تجيبه.

– ألاحظ طاقم الخدم. إنهم يرفرفون حولك وحول المائدة مثل طائرات الهليكوبتر الصغيرة.

– طائرات الهليكوبتر الصغيرة؟ لم ألاحظ شيئا.

– إنهم يرفرفون كما لو لم يحدث أي شيء.

علت الابتسامة شفتي "كونال".

– إنك خيالية جدا!

– لكن هذا حقيقي! هذا يدهشني حقا.

– إن طاقم خدم "سوانسا" على أعلى طراز بفضل "كاثلين" و"وينستون لورانس".

– الخدمة كاملة لجميع الناس. لكنهم يراعون أدق فعل من ردود أفعالك.

ازدهرت ابتسامة "كونال":

– إنك تختلقين أشياء حقا. لم ألاحظ أبدا أنهم يعاملوني معاملة خاصة.

www.elromancia.com

– هذا لأنهم يفعلونها سرا ولأنك واحد من آل "ديفريل". إنك لا تعرف أيضا أي شيء آخر. إنهم يتصرفون كأنهم عبيد لأسرتك.

انفجر "كونال" في الضحك:

– إنني لا أصدقك.

قالت –وهي ترفع يدها–:

– حسنا، سأثبت ذلك لك.

أسرع الخادمان إلى مائدتهما حتى كادا أن يصطدما بها.

سأل الخادم الأول:

– أيمكنني عمل أي شيء لك يا آنسة؟

– نعم. أريد قهوة وحلوى للسيد "ديفريل".

بادر الخادم بقوله:

– سأعود فورا بالعربة التي تحملهما.

قالت "شارون":

– لا داعي. هل لديك فاكهة "الكشمشة"؟

– بالتأكيد! إنها تأتي مباشرة من صوبتنا الزجاجية.

– حسنا جدا. سنأخذ إذن "الكشمشة" بالسكر.

قال الخادم –الذي كان قد ابتعد قبلها–:

– سأحضرها لكما على الفور.

– انتظر لحظة!

استدار الخادم.

– نعم؟

– إنه يحب "الكشمشة" بدون قشرة.

– بدون قشرة؟

مالت "شارون" لتهمس في أذن الخادم:

– تعلم أن قناته الهضمية لن تهضمها.

– أعلم. سأحضرها لكما في لحظة.

نادته "شارون" مرة أخرى:

– لدي شيء آخر أطلبه منك. أريد أن أطلب غدائي ليوم الغد. أرغب في تناول طعام خاص لا تعدونه هنا.

– يسعدنا أن نعد لسيادتك الطبق الذي تتمنينه.

– رائع! اكتشفت مؤخرا أنه لا يوجد ألذ من البسلة. أحب أيضا أن يتمتع السيد "ديفريل" بتذوقها.

أجاب الخادم بلا تردد:

– لا توجد مشكلة يا آنسة "جراهام". أترغبين في شيء آخر؟

– شيء صغير جدا.. أيمكنك أن تحضر "بونبون" في جناح السيد "ديفريل" على أن تعتني بالفصل بين ألوانه المختلفة؟ تفهم بالتأكيد.. قناته الهضمية..

قال الخادم –في منتهى الطاعة–:

– أفهم بالتأكيد.

ثم أضاف –وهو يوجه كلامه إلى "كونال" قبل أن يحييه ويبتعد:

– سأراعي بنفسي إحضار "البونبون" لكما.

استدارت "شارون" المنتصرة إلى "كونال" الذي يتفرس فيها. كان يستند بمرفقه إلى المائدة ويخفي جزءا من وجهه في يده حتى لا يضحك بصوت عال.

قال –وهو يقلد صوتها–:

– البسلة؟

www.elromancia.com

– ليست سيئة، أليس كذلك؟

– أتعرفين كم من الوقت يلزمهم لتجهيزها؟

قهقهت وهي تقول:

– أفضل ألا أفكر في ذلك. لكنني أراهنك على أنهم سيقدمونها لنا في غداء الغد وعلى أنك ستحصل على "البونبون" في غضون ربع ساعة.

– هل كنت مضطرة لإقحام قناتي الهضمية في الأمر؟

– ربما لا. إنهم قد يوقفون طبيبا خلف بابك ليراعي صحتك. لقد أحسنت صنعا لأن أجعلهم يعتقدون أنك غريب الأطوار.

– هذا ما سيعتقدونه على أية حال.

على الرغم من صوته المصطبغ بالاستسلام إلا أن "كونال" كان سعيدا بانتصار "شارون". لقد عثر على الدليل على أن السعادة والروح المرحة للفتاة في سن الثامنة عشرة والتي أحبها لا تتطلبان إلا الظهور مرة أخرى. فقط إذا..

سألته قائلة:

– أتريد عمل رهان بسيط بشأن "الكشمشة"؟

– أراهنك بدولار على أنهم سيخبروننا في خلال دقيقة بأنهم لا يستطيعون عمل ما طلبته منهم.

– أراك بخيلا جدا! لنراهن على دولارين.

– اتفقنا.

اقترب الخادم وهو يحمل قهوة "شارون" ثم قال لـ"كونال":

– عفوا لأنني جعلت سيادتك تنتظر "الكشمشة" ستصبح جاهزة في خلال دقيقة.

قال "كونال" بجدية:

– شكرا.

ظهر الخادم بعد دقيقة وهو يضع حساء "الكشمشة" على المائدة وعلامات الانتصار تبدو عليه وحينذاك أخرج "كونال" محفظته وأعطى "شارون" دولارين وهو ينظر إليها نظرة المتواطئ.

قالت –وقد أحست بنبضها يتزايد–:

– شكرا.

مد "كونال" ذراعه أعلى المائدة وأمسك يدها. كانت سعادته كبيرة عندما لم تشدها.

– من الممكن أن أقول إنك اعتدت جو "سوانسا".

قالت معترفة:

– إلى حد ما.

جالت بنظراتها كل أرجاء الغرفة مع شمعدانها الذي يتخذ شكل الزهرة التي تتدلى من السقف.

– إن كل هذا الجمال يسحرني. لكن منزل "سوانسا" له خاصية معروفة لابد أن يتقبلني طالما أنني أقيم به مع أحد أفراد آل "ديفريل". ومع ذلك أشعر بأنني في غير حالتي. إنني متأكدة من أنك تراني غريبة.

كانت ابتسامتها حزينة في هذه الجملة الأخيرة. حاولت أن تشد يدها من يده لكنه ظل ممسكا بها.

قال "كونال":

– لا أشاركك في نظرية خاصية هذا المنزل.

– ألم تشعر بأي خاصية هنا أبدا؟

www.elromancia.com

– بلى: إنني أشعر فيه بالارتياح. وأحيانا أشعر بالضيق لأنني سارحل منه.

لمح الرجل من ابتسامتها أنه أعطاها سببا.

– اتفقنا. أتعرفين لماذا لا يقبلك "سوانسا"؟

قالت المرأة:

– ستضحك إذا عرفت.

– أعدك ألا أضحك.

– أظن أن المنزل يعتقد أنني أنوي إيذاءك.

انفجر "كونال" في الضحك:

– وهل تنوين ذلك؟

– لقد عرفت معظم خططي أو كلها تقريبا. انته من تناول "الكشمشة". رئيس الخدم واثنان من أتباعه يتسكعون في الجانب.

– إنني أسرع من الانتهاء. ثم ساريك جانبا آخر من "سوانسا". إنك ستعتادين هذا المنزل سريعا بهذه الطريقة.

*****

– سنمر من هنا.

فتح "كونال" نافذة سقف المنزل ومرر ساقه في الفراغ وجلس على الحافة.

– عندما كنت في الثامنة من عمري اكتشفت أن هذه النافذة مناسبة جدا للصعود إلى السطح..

– في الثامنة من عمرك؟ هل كان والداك يعرفان ما تفعله؟

تخيلته جيدا وهو ولد صغير في الثامنة من عمره مع وجهه المتحفظ

والحازم يشعر بالسعادة لأنه ذاهب للعب على السطح في الخفاء.

إذا أنجبا طفلا هنا في "سوانسا" فهل سيتسم بنفس الشيطنة التي لم يفقدها أبوه أبدا؟

صاح قائلا:

– لا بالتأكيد! من الأفضل ألا يعلم الأبوان بعض الأشياء. فهذا يجعلهم يعيشان في هدوء.

– لست متأكدة من مشاركتي في رأيك هذا.

– لم تشاركني أمي فيه أيضا. هل ستأتين؟

– هل أنت واثق بأنك تريد أن تفعل هذا؟ المكان مرتفع جدا!

– هل لاحظته؟ لا تقلقي. لقد فعلتها أكثر من مائة مرة.

– هل فعلتها مؤخرا؟ لم تعد صغيرا مثلما كنت من قبل..

– سأثبت لك هذا!

منذ عودتهما من النزهة و"كونال" يبدو جذابا للغاية. لكن المرأة كانت تشعر في بعض الأحيان بصعوبة في التوفيق بين هذه الصورة المرحة للرجل وصورة الرجل الذي جعلها تعاني كثيرا. بالإضافة إلى ذلك إحساسها بالذنب لشعورها بالانجذاب نحوه.

كرر وهو يمد يده إليها:

– هل تأتين؟ أم أنك تفضلين أن تكوني جبانة؟

– إنني قادمة، قادمة! أخبرني فقط بما ينبغي أن أفعله.

اكتشفت "شارون" بدهشة أن سطح "سوانسا" يطل على المنطقة كلها مما يعطيه –أي المنزل– جاذبية أخرى بخلاف جاذبيته –توقفت "شارون" عن عد المدافئ بسرعة.

وفقدت اتجاهها حتى اصطحبها "كونال" إلى جزء مسطح يطل

www.elromancia.com

على الحدائق المطلة بدورها على المحيط.

صاح -وهو يجلس على لوح خشبي-:

- ها قد وصلنا.

همست قائلة والإعجاب يغمرها:

- ياله من منظر جميل! إننا نرى إلى مالا نهاية.

أشار "كونال" -وهو يشير بإصبعه إلى منطقة معينة-:

- إننا كنا متواجدين هناك في هذا الصباح.

قالت ملاحظة:

- لا أرى أناسا كثيرين. ظننت أنني سأرى "سوانسا" تعج بالناس في هذا الوقت من العام.

- إنه كذلك. لكن أغلبية العملاء يتكدسون في سياراتهم للاستمتاع بجمال الطبيعة. ستمتلئ صالة الطعام في هذا المساء. أتحبين القيام بنزهة في الغد؟

- ربما.. "كونال" هل رأيت "مارك برتون"؟

خرج هذا السؤال من فم "شارون" رغما عنها.

قال بصوت مقتضب:

- لا.

- لماذا؟ لقد كنتما صديقين جيدين.

- لقد توقف عن أن يكون صديقي بعدما علمت أنه يراك دون علمي.

- لم نخرج مع بعضنا البعض أبدا. لقد حاول لكن هذا لم يكن يروق لي. وحينذاك فعل كل شيء ليثيرك ضدي. لم أنجح أبدا في أن أعرف أنه يتصرف هكذا بدافع الغيرة منك لأنك تمتلك كل شيء

وكان يرغب في أن يأخذ شيئا مهما بالنسبة لك مهما كان الثمن.

اعترف "كونال" بعد فترة صمت طويلة:

- كدت أن أقتله.

- ماذا؟

- لقد حكيت لي ما فعلته أنت في تلك الليلة والآن جاء دوري لأخبرك بما فعلته. ذهبت إليه ونعته بكل الصفات ثم ضربته ضربة قوية. إن لم يكن قد أبعدني شخص ما عنه لكنت قد قتلته.

- وكيف أصبح الآن؟

- لا أعلم. أعتقد أنه يعيش في "أوروبا".

على الرغم من أن "كونال" أخطأ في اعتقاده بأنها خانته مع أفضل صديق له إلا أن "شارون" أدركت الآن أنها تسببت هي الأخرى في معاناته. لكنها وجدت الأمر مأسوياً؛ لأنه عانى بلا سبب حقيقي.

همست قائلة:

- أشعر بأنني متعبة.

- استرخي ونامي قليلا.

- هنا؟

- لم لا؟

ثم أضاف -وهو يبتسم ابتسامة ماكرة-:

- لن أزعجك.

تمددت "شارون" على ظهرها وأغمضت عينيها. سخنت الشمس عظامها بالتدريج وأراحت أعضاءها وذهنها. أحست بعد قليل بـ"كونال" وهو يقبلها قبلة حانية.

كانت الشمس محمرة في الأفق عندما عاودت المرأة فتح عينيها.

www.elromancia.com

كان "كونال" واقفا بالقرب من حافة السطح وهو يعقد ذراعيه على صدره ونظراته هائمة إلى بعيد.

نادت بصوت رقيق:

– "كونال"؟

لما كان سعيدا باستيقاظها توجه نحوها والابتسامة تعلو شفتيه. لقد أحس في أثناء نومها بإحساس غريب من الوحدة والعجز.

– عفوا لأنني نمت كثيرا هكذا.

– لا يهمك. أنا أيضا نمت.

مد يده إليها ونهضت وقد آلمتها عضلاتها وأفلت تأوه منها. صاحت قائلة:

– كنت متيقنة من هذا! لم يكن يجب أن أبقى ساكنة فترة طويلة هكذا بعد جولتنا على الحصان في هذا الصباح.

– ستأخذين حماما ساخنا وسترين النتيجة.

– كيف عرفتها؟

– الخبرة. نادرا ما أركب الخيول في مكان إلا في أثناء إقامتي هنا.

كانت المرأة تشع جاذبية وحيوية. كانت نظرات الرجل توحي بما يريده. والمرأة كذلك. لكن ماذا حدث لها؟ هل قضت فترة نومها على مكبوتاتها؟ أو أن موقفها هذا يرجع إلى حوارهما في الصباح ومزاحها البريء؟ لا يهم، المهم فقط هو سحر هذه اللحظة.

تأملها "كونال" جيدا وأحس بانجذابه إليها. شعر بالأرض تلف من حوله وحمى غريبة تملكته. إنه لم يشعر أبدا بمثل هذا الإحساس من قبل. إنه يشعر مع هذه المرأة المفعمة بالحياة والعاطفة بأنه يمسك الربيع بين ذراعيه.

لكنه مع ذلك قرر ألا يفاجئها الليلة لقد تركته في الليلة السابقة وفي هذه الليلة سيجبر نفسه على تركها هو الآخر. إنه لن يقترب منها إلا عندما يشعر بأنها ترغب في ذلك.

تراجع خطوة إلى الوراء وتمتم بصوت أجش:

– سنشعر بالارتياح بعد الدش.

www.elromancia.com

الفصل السادس

قال "كونال" –وهو يمد كأسه إلى كأس "شارون"–:

– نخب إقامتنا في "سوانسا"! ليت أمنياتنا تتحقق!

ابتسمت "شارون" إليه وابتلعت رشفة من السائل الذهبي. إذا كانت تجهل ما تخبئه الليلة لها فإنها تعرف الآن شيئا أكيدا: وهو أن تشرك هذا الرجل في عبئها؛ لأنها تعتبره مسؤولا عن كل معاناتها كما أنها تود مساعدته على تخطي ضعفها.

بينما كانت تغطس في المغطس الذي يتخذ شكل القوقعة فكرت في حل مهم: نسيان فكرة إنجاب طفل من "كونال" والعودة إلى منزلها واستعادة حياتها الطبيعية.

أما بخصوص سهرة الليلة فإنها ستلاحظها دقيقة بدقيقة إن لم تكن ثانية بثانية.

استفهم "كونال" قائلا:

– كيف حالك الآن؟

– إنني بخير. كنت محقا في رأيك. لقد أراحني الحمام الساخن.

– عظيم. إنك مستعدة إذن لتمرينات أخرى. توترت "شارون" رغما عنها. ثم لاحظت وميض الدعابة الذي تلألأ في عيني "كونال" وابتسمت له ابتسامة ساحرة.

قالت:

– هذا يرجع إلى نوعيتها. فيم تفكر؟

– سترين.

كان مجرد تأملها –وهي جالسة أمامه– يسعد "كونال" كثيرا.

كانت ترتدي فستان سهرة مدهشا للغاية.

– أحب فستانك كثيرا. هل هذه المرة الأولى التي ترتدينه فيها؟

– لا. لقد اشتريته منذ سنتين.

– وفي أي مناسبات ترتدينه؟

– أوه!.. في حفلات الاستقبال.. لماذا؟

– إنه الفضول لا أكثر.. تصورت أنك تخرجين كثيرا...

لم تكن الحفلات تفوت "شارون" إذن. لقد حاولت مرتين أن تبني علاقة مستمرة لكن بلا جدوى. على أية حال إنها لن تقول له أي شيء.

سألته –وهي شبه جادة وسعيدة–:

– ألا تعتقد مع ذلك أن حياتي توقفت مدة عشر سنوات؟

قال متلعثما:

– كلا..

رفع كأسه وتفحصها بعينيه ثم وضعها دون أن يشربها.

أخبرته قائلة:

– انتبه، الخدم يلاحظونك بشكل غريب!

ألقى "كونال" نظرة تواطؤ عليها جعلتها ترتعد. إنها لم تشعر أبدا بمثل هذا الانجذاب إلى الرجل قبل ذلك. أخذت تتأمله بشدة.

ثم عدلت رأسها وقد أدركت أنه يتفرس فيها هو الآخر. احمرت رقبتها ووضعت يدها بغريزتها لتخفي الاحمرار الذي عكس اضطرابها.

سأل "كونال":

– ما رأيك في السمك؟

www.elromancia.com

– رائع. هذا العشاء مدهش. وأعشق هذا الجو. إذا لم يكن المدعوون يلبسون ثيابا عصرية لظننت أنني عدت ألف سنة إلى الوراء.

جالت بنظراتها في أرجاء الغرفة وهي تتساءل عن قصص الحب التي شهدتها هذه الجدران.

– كيف اختارت امرأة خيالية مثلك العمل بمهنة المحاسبة؟

– إنني صديقة حميمة للأرقام. إننا نجمعها ونطرحها ونقسمها.. ولا أرى أي شيء بسيط في الحياة مثلها.

– هذا صحيح...

هل أدركت أنها اختارت هذه المهنة حتى يمكنها السيطرة على كل شي لأن بقية حياتها أفلتت منها؟

سألها مستفهما:

– هل انتهيت؟

– نعم، لماذا؟

– تمريناتنا في انتظارنا.

– أوه!

قال ضاحكا:

– لا تقلقي. لدي مفاجأة لك وإنني متأكد من أنها ستروق لك.

ألقى نظرة على أحد الخدم الذي عاد بعد لحظات بمعطف سهرة "شارون". نهض "كونال" وساعدها على ارتدائه ثم همس في أذنها:

– لن نذهب بعيدا.

أحست برجفة سعادة ورفعت رأسها نحوه وطبع قبلة على خدها.

– هيا بنا!

غادرا المنزل من باب سري. كان القمر يغطي الليل بنوره الممتع. كانت النافورة المضاءة تضيء الحديقة وعطر الزهور يفوح من الأرض سلكا ممرات ملتوية وصوت الموسيقى الواصل من المنزل يتبعهما.

قالت:

– لا أعلم إلى أين تصطحبني لكن هذه النزهة تروق لي.

– وتروق لي أيضا. الليل جميل وكذلك أنت. خسارة لأننا قد وصلنا.

– وصلنا إلى أين؟

– سترين.

– لقد قلتها لي قبل ذلك.

استدار فجأة وضمها بين ذراعيه وقبلها.

بدأ "كونال" يتأمل وجهها الذي يمسكه بين ذراعيه. قال –وهو يشير بيده إلى مبنى طويل أمامهما–:

– ها قد وصلنا.

تمتمت –وهي تشعر بأنفاسها تتقطع من جراء القبلة–:

– ما هذا؟

– ملعب "تنس" شيده جدي "چاك" في العشرينيات.

أدخل المفتاح في الباب وتنحى جانبا ليدخلها. كان الظلام الدامس يسيطر على أرجاء المبنى.

قال "كونال":

– لا تتحركي. سأعود حالا.

كانت "شارون" المندهشة تسمع خطوات قدميه. غمر ضوء شديد

www.elromancia.com

المكان الذي تفرست فيه بإعجاب. في ظل هذا الضوء المدهش بدا المكان مثل الحديقة الغناء وقد أضافت الكراسي والأرائك الموجودة حول منضدة كبيرة جمالا إليه.

صاحت المرأة بدهشة:

– إنه رائع!

– كنت متأكدا من أنه سيعجبك. هذا المكان مخصص لآل "ديفريل". العملاء لديهم ملاعب في الهواء الطلق. أتريدين مشاركتي؟

– نلعب التنس؟ الآن؟ وأنا مرتدية هكذا؟

– ولم لا؟ لم أنس أنك لاعبة جيدة.

طبع قبلة حانية على خدها مما جعله يشعر بأنها فقدت كل شكوكها.

– من الواضح أن الضوء لا يكفي لكن لا بأس. هيا بنا.

– لنلعب إذن. أشعر بأنني بطلة رواية "سكوت فيتزجيرلاد" وهذا يروقني كثيرا.

نزع "كونال" رابطة عنقه وجاكته وفك الأزرار الأولى لقميصه وعاد ومعه مضربان وكرتان. ثم قال:

– لابد أن تبدئي أنت.

ضربت "شارون" الكرة بقوة لدرجة أنها خرجت خارج حدود الملعب.

سخر "كونال" برقة:

– خسارة!

خلعت المرأة حزامها حتى تلعب مستريحة. في هذه المرة ظلت

الكرة بداخل المربع الأبيض.

لحق حذاؤها سريعا بحزامها. ظلت المشكلة في فستانها الطويل الذي يعوق كل حركة من حركاتها. اضطرت إلى رفعه بيدها الأخرى. على الرغم من كل هذا حققت نقاطا أعلى من "كونال" الذي ألقى بمضربه على الأرض وهو يتظاهر بالضيق بعد أن أرسل كرته في الشبكة. صاح قائلا:

– كسبت هذه الجولة ولكن انتظري الجولة الأخرى.

أجابته:

– صه. لقد أنهيت مهمتي كبطلة.

ألقت بنفسها على أريكة واغتنمت غياب "كونال" المؤقت الذي ذهب ليرتب المضارب.

واصل حديثه –كما لو لم تنقطع محادثتهما–:

– لا أتفق معك. البطلة لا تنسحب هكذا. لابد أولا أن تقبل التحدي.

قالت "شارون":

– سأفكر في هذا الأمر.

– كيف.. ستفكرين فيه؟ قدمي إلي اعتذاراتك التي تجبرني على اتخاذ احتياطاتي.

جذب المرأة نحوه وهو يطلق تذمرا.

قالت مقهقهة:

– أي احتياطات؟

– هل أنت مستعدة لتقديم اعتذارك؟

– لا..

www.elromancia.com

– اقتربي إذن. سأجعل رأسك يدور حتى لا تدري المكان الذي تتواجدين به.

ربط كلامه بافعاله ورفعها من على الأرض وبدأ يلف حول نفسه حتى صاحت من الضحك. ثم وضعها على الأرض دون أن يتركها.

ثم سألها:

– وهذه الاعتذارات؟

– إنها خارج نطاق المناقشة.

– اللعنة عليك. كلما ترفضين التعاون زاد عذابك.

دون أن تعرف "شارون" السبب بدأت تضحك مثل التلميذة الصغيرة ونظرت في عيني "كونال" الذي لم يعد يطيق الصبر.

وبدأ "كونال" تعذيبه للمرأة لكنه كان العذاب اللذيذ الذي طالما اشتاق إليه الاثنان.

الفصل السابع

استدارت "شارون" على سرجها حتى تقدر المسافة التي اجتازاها.

سألت "كونال" القريب منها:

– هل مازلنا في الضيعة؟

– بالتأكيد.

– متى سيظهر لي هدف نزهتنا؟

– عندما نصل إليه.

– نصل إلى أين؟ إنك تثير جنوني يا "كونال"!

– لا أرى داعيا لهذا. لقد أعجبتك مفاجأة ليلة الأمس. وهذه المفاجأة ستروق لك أيضا.

كانت النظرات الحميمة التي يلقيها عليها تجعلها تشعر بالخجل قبل ذلك، لكنها الآن اكتفت بأن تبتسم له ابتسامة مشرقة.

واصل حديثه قائلا:

– على أية حال إنك تقضين إجازتك. ثقي بي واطمئني.

أحست "شارون" بالارتياح وبالسعادة المتناهية. كانت جداول المياه الصغيرة تصطدم بالشاطئ الموجود على يمينها أما عن البراري الموجودة على يسارها فقد كانت تشبه التحفة الفنية الرائعة.

كيف يمكنها أن تشكو وهي بمفردها إلى جوار "كونال" في وسط هذه الطبيعة الخلابة؟

قال "كونال":

– سنسلك يسار هذا الطريق حتى ننزل إلى السهل. اتبعيني

www.elromancia.com

فالمنحدر ليس وعرا جدا.

بعد لحظة سار الاثنان على الرمل المغطى بالمد.. تسللت الشمس بين ثقوب سترة "شارون" واختلطت النسمة بشعرها.

صاحت بابتسامة سعيدة:

– لم أذهب إلى الشاطئ منذ سنوات. إنه رائع!

أجابها "كونال" –بابتسامة سعيدة–:

– أعشق المجيء إلى "سوانسا" في أي فصل من فصول السنة. لا يوجد أفضل من رؤية الحركة العظيمة والدائمة للمحيط التي تساعدني على وزن الأمور جيدا.

فهمت "شارون" سبب إحساسه بالاحتياج إلى تجديد نشاطه حين يكون مثقلا بهموم المسؤولية.

ركض الاثنان في الماء لحظات ثم توجه "كونال" مباشرة إلى الشاطئ الصخري.

دهشت "شارون" عندما اكتشفت بساطا كبيرا مفروشا على الرمل وموضوعا عليه سلة الطعام.

صاحت متعجبة:

– نزهة! كيف دبرت لها؟

قال مستفهما –وهو ينزل من حصانه–:

– هل فقدت ثقتك بطاقم خدم "سوانسا"؟

قهقهت "شارون" وقالت:

– يا للحماقة! إنني متأكدة من أننا سنجد أيضا طبق البسلة الساخن في انتظارنا. ما المبلغ الذي راهنت عليه؟

– ثلاثة دولارات وليس أكثر!

بمجرد أن نزلت من الحصان جلست "شارون" على البساط وبدأت تفرغ محتويات السلة، بينما جثا "كونال" على ركبتيه بالقرب من كومة الخشب الذي يعد للطهو وهو ينتظر اشتعال النار.

أكدت "شارون" متعجبة بنبرة الفائزة:

– توجد أطباق وملاعق فضية وأكواب من الكريستال ومناشف.

– واحتفظ بالأفضل للنهاية! ألمح نوعا من المزيج الساخن الذي يذكرني بحمص الشام.

– وماذا عن البسلة؟.. أوه لا.

صمتت لحظة لما رأت البسلة وقالت:

– بدأت أشعر بالذنب. لابد أنهم تضايقوا مني.

– أتمزحين؟ إنهم سعداء الآن ولعلهم يتساءلون: "ماذا يمكنها أن تطلب منا؟ إنها المرة الأولى التي يتحداهم فيها أحد.

– إنني أشعر بالخجل من نفسي. إنهم محبوبون للغاية! بالمناسبة أنت مدان إلي بثلاثة دولارات.

أخرج "كونال" –دون أي تقطيب– الدولارات الثلاثة من حافظة نقوده ثم بدأ يداعبها حتى صرخت من الضحك. سالت دموع الفرحة من عينيها.

قالت وهي تجففها:

– إنك خاسر سيئ.

قال معترفا:

– أجد صعوبة في إدراك أنني قد خسرت.

www.elromancia.com

أضافت:

– إن مداعباتك هذه التي تشبه العقاب تصيبني بالحيرة. أرى أنها تنبع من فساد طفولتك.

– فساد؟

– لم يعاقبك أحد قط. إنك لا تعرف معنى العقاب الحقيقي. مسكين أيها الولد الغني!

ألقت نظرة على الوليمة المتاحة أمامهما وأضافت:

– أشعر بجوع شديد!

– وأنا أيضا.

بعد أن تذوقا وجباتهما قاما بنزهة طويلة وكل منهما ممسك بيد الآخر، ثم عاودا الجلوس على البساط القريب جدا من نار الخشب.

تمتمت –وهي تثني ركبتيها تحت ذقنها ونظرها شارد في اتجاه المحيط–:

– هذا المكان يروق لي كثيرا. شكرا لأنك اصطحبتني هنا. شكرا على كل شيء.

على الرغم من رقة وحلاوة كلامها إلا أن نبرة رسمية بدت في كلامها كما لو كانت مدعوة تشكر مضيفها وهذا جعل "كونال" يشعر بالضيق. لقد حاول أن يفهمها. وبعد كل هذا استقبلها في "سوانسا". إن رد فعله طبيعي إذن.

واصلت "شارون" بصوت شارد:

– تعلم أن جدتي "كلاريس" لم تأت أبدا إلى "سوانسا". يالها من خسارة كبيرة!

– أتدرين السبب؟

– أعتقد أنها رفضت المجيء. لقد قررت قطع علاقتها بـ"جاك" عندما رحل من "هارفارد". وهذا أفزع والدي أيضا حيث إنه لم يفهم كيف استطاعت امرأتان من أسرته قطع علاقتهما بأحد أفراد آل "ديفريل"!

توتر وجه "كونال" عندما ربطت "شارون" كلامها بضحكها.

– ألوم نفسي لأنني تسببت لك في الألم لكنني أرى أنه تصرف معك بشكل مزر. لا يمكنني أن أفهم كيف استطاع أب أن يدير ظهره إلى ابنته التي كانت في أمس الحاجة إليه. إذا لم يكن قد مات فإنني أعتقد أنني كنت سأقتله.

– لا تقل هذا. إنه والدي مهما فعل بي.

– وأنت ابنته. كان يجب أن يساعدك.

قالت وهي دهشة من حدته:

– إنه الماضي.

– أعلم. لكنني آسف أيضا على موقفي. لم يكن الطفل مني لكن عندما علمت أن "مارك برتون" رحل إلى أوروبا كان يجب أن أتأكد من أنك بخير. إنني لم أتصرف بالشكل اللائق!

هزت المرأة رأسها ثم قالت له:

– كثير من الغضب والمعاناة فرق بيننا يا "كونال".

أمسك ذراعها وقد لمعت عيناه:

– ألا ترين أنه كان يجب أن أعتني بك؟ ربما كان هذا قد جنبك فقدان طفلك.

قالت بصوت حزين:

– كلا. أخبرني الطبيب بأنه لا يوجد أي أحد مسؤول حيث يرى

أن المرأة التي تفقد صغيرها في بداية حملها بلا أي سبب واضح لابد أنها كانت ستفقده في النهاية.

– كم كنت أحب أن تسير الأمور على نحو آخر!

كانت "شارون" دهشة وهي تستمع إليه. إنها لم تتخيل أبدا أنهما سيتناقشان عن كل هذا ذات يوم، والأكثر من ذلك أنها هي التي تواسيه.

– لا تتذكر كل هذا يا "كونال" فإنه لن يجدي في شيء.

– ألم تعودي تفكرين فيه؟

– كلا، لم أعد.. لقد قررت أن أنظر إلى الأمام وأبني حياتي بشكل جديد.

قال مستفهما:

– لكن ألا تعودين إلى الوراء هكذا لدى رؤيتك لي؟

لقد طرحت "شارون" هذا السؤال على نفسها عدة مرات.

– ربما. لكن هذا بهدف محدد جدا ولن يستغرق فترة طويلة.

على الرغم من سخطه المتزايد أجبر "كونال" نفسه على أن يطرح عليها سؤالا يحزنه بشدة.

– في رأيك هل ماكنا نشعر به قبل ذلك هو الحب؟

– حتما. لا يوجد أعظم وأشد من الحب الأول. إن العالم ينفتح أمامنا في إطار عاصفة من الأمل والسعادة تحيط بنا.

أذعن لكلامها بصوت هادئ:

– هذا صحيح.

لقد تلاشت مشاعرهما القديمة ومعاناتهما السابقة لكن "شارون" كانت تشك في أن هذا شيء جميل.

لكنها أكدت قائلة:

– لقد انتهى هذا الوقت. إننا أفضل هكذا.

ألقى "كونال" الإحساس الكريه بالعجز الذي يسجنه وقرر أن يركز في الحاضر. أمسك يدها وقال:

– أتعلمين أنك جميلة جدا؟

قفز قلب "شارون" من الفرحة.

– صحيح؟

– نعم. وأرى أننا شططنا بعيدا جدا في ليلة الأمس.. ولا مانع من ذلك الآن أيضا.

*****

توالت الأيام التي نعما فيها بأحلى الأوقات معا. كانت "شارون" تشعر بأنها تعيش حلم يقظة ولم تعر أي اهتمام للصوت الذي يهمس بداخلها بشيء ما. إنها لا تجد الوقت للإنصات إليه على أية حال حيث إنها مشغولة جدا بالتنزه والاستحمام ومباريات التنس واللهو مع "كونال" على الشاطئ.

مر أسبوع آخر عندما همس ذلك الصوت في أذنيها بإصرار.

إنك تحبينه.

أجابت "شارون": لا.

إنك تحبينه.

– لا، لا. إنه حبيب رائع. من الطبيعي أن أحس بهذه المتعة إلى جواره.

إنك تحبينه.

لا!

توقف قلبها عن النبض فجأة. كانت تحبه بجنون. كانت تحبه بلا أمل ولكن إلى الأبد.

لما وضعت خطتها قبل مقابلته في المكتب كانت قد استبعدت هذا الاحتمال لكنها وقعت في الفخ.

على الرغم من أن "كونال" يرفض دائما الاعتراف بأنه كان والد الطفل إلا أنها أحبته. ياله من خطأ لأن تفكر في قدرتها على قضاء خمسة عشر يوما معه مع الاحتفاظ بمسافة بينهما حتى تتركه بعد ذلك دون أن تشعر بأي جرح!

لقد فقدت السيطرة على الموقف في أثناء الطريق. ألم يكن هذا الحب -الذي ظهر فجأة- كامنا في قلبها منذ عشر سنوات؟ ألم يكن السبب الحقيقي- الذي دفعها إلى طلب إنجاب طفل من "كونال" هو أنها تحبه أكثر من أي شيء آخر في الدنيا؟

قالت في قرارة نفسها: إنك لم تعودي تفكرين في الحمل.

أجاب الصوت الهامس: هذا لا يهم. ستصبحين حاملا مثلما حدث في المرة الأولى.

وفي هذه الأثناء شعرت "شارون" بتوقف الحياة من حولها..

لقد تصلب جسمها عرقا. إذا لم تصبح حاملا مرة أخرى فإنها لن تستطيع أبدا إقناع "كونال" بصدقها.

إن هذا الرجل لا يفارقها لحظة واحدة إلا ويعبر عن حبه لها. لن تنفتح آفاق المستقبل أمامهما إلا إذا وثق بها، والحمل فقط هو الذي يمكنه أن يمحو شكوك الماضي.

لقد أكد الطبيب لـ"كونال" أن فرصته ضعيفة في الإنجاب. إن

الطفل الذي حملت فيه منه قبل عشر سنوات ماضية كان يعتبر شبه معجزة كيف لم تفكر في هذا ولم تدرك صعوبة حملها مرة أخرى منه؟

هذا ببساطة لأنها كانت تحبه.

*****

في الليلة التالية هبت عاصفة كبيرة. كانت الأمطار تنهمر بغزارة على الجدران الحجرية لـ"سوانسا" وصوت الرعد يخترق السماء والبرق يضيء المنزل وكأنه النهار.

كانت "شارون" ممددة إلى جانب "كونال" وتشعر بأن المنزل يفهم ما ستفعله ويؤيدها. لم يعد في إمكانها التراجع: يجب أن ترحل.

كانت حقائبها موجودة في الغرفة المجاورة. كان هناك "تاكسي" في انتظارها عند عطفة الطريق الرئيسي ليوصلها إلى المطار الصغير حيث تقف طائرة متأهبة للإقلاع بها في الثالثة صباحا.

كانت تستمع إلى أنفاس "كونال" المنتظمة وشكرت السماء على أنه يغط في النوم. إنه لم يشك أبدا في رحيلها. لم تجد لديها الشجاعة لمحادثته؛ لأنه لن يتركها ترحل أبدا في حين أنه تتبقى أمامهما أربعة أيام يقضيانها معا.

كان قرارها حاسما. إنه لا يثق بها. إذن الحب بلا ثقة لا يتواجد. إذا أصبحت حاملا..

تمكنت من الاستماع إلى صوت عقلها في النهاية. إذا انتظرت طفلا فإنها لن تحصل أبدا على دليل بأن "كونال" لا يحب غيرها

ولكن أيضا لن يمكنها أن تسير جيدا خطتها السرية.

استندت المرأة إلى مرفقها برقة ثم ولجت خارج سريرها وارتدت ملابسها على عجل وهرولت إلى خارج الجناح والمنزل.

كانت العاصفة قد هدأت وتباعد الوقت بين صوت الرعد والبرق. وقل هطول المطر.

عندما انطلق التاكسي استدارت "شارون" لتمسح الدخان الذي على الزجاج الخلفي؛ لتلقي نظرة أخيرة على المنزل الذي شهدت فيه سعادة الدنيا كلها.

كانت اللوحة الحزينة -التي ترسمها الأشجار التي دهستها الرياح والسحب القاتمة التي تكدست بأعلى مدافئ "سوانسا" لم تدهشها.

*****

"شارون" رحلت.

ظن "كونال" في البداية أنها استيقظت مبكرا وقررت تناول فطورها بالطابق السفلي أو القيام بجولة. ثم بدأ يشعر بالقلق وحينما لم يجدها سأل الخدم الذين لم يتوصلوا إلى العثور عليها.

لقد هربت.

الفصل الثامن

ألقى "كونال" نظرة قاتلة على دفتر التليفونات الموجود على مكتبه. منذ عودته إلى "بوسطن" منذ أربع وعشرين ساعة وهو لم يكف عن التفكير في "شارون" والتساؤل عم إذا كان يجب أن يتصل بها أم لا.

كان الرجل فريسة لمشاعر متناقضة، ولم يستطع أن يفهم سبب رحيلها ولا كيف استطاعت الهروب دون أن تخبره.

إنه لم يضحك أبدا مع أحد بمثل هذا الشكل من قبل. إن كل لحظة قضاها معها كانت تملأ كيانه وكان مستعدا للرهان على أن الأمر كذلك بالنسبة لها.

مد يده نحو السماعة، لكن فخر آل "ديفريل" منعه من الاتصال بها.

ومع ذلك كان ينبغي أن يحدثها. طلب رقمها بحركة فظة وعلى عجل دوى الجرس مرة ومرتين ورفعت السماعة.

- ألو، "شارون"؟

ثم أجابه صوت امرأة:

هذا الرقم غير موجود بالخدمة. تحقق من الرقم وأعد المحاولة. هذا الرقم غير..

وضعت السماعة على الطرف الآخر. غير موجودة في الخدمة؟ ما اللعبة التي تلعبها "شارون"؟ توتر "كونال". ربما من الأحرى أن تكون مريضة.. أو مجروحة؟ ربما تتعرض لخطر ما؟ ربما حدث لها مكروه؟

أحس بوخزة في قلبه. نهض واقفا وأسرع خارج مكتبه.

*****

وصل "كونال" أمام العمارة التي تقيم بها المرأة الشابة وهو في حالة غضب شديد.

صعد السلالم مسرعا وهو يكاد يجن من القلق ووقف أمام الباب يطرق بمعصميه عليه:

– "شارون" افتحي الباب! "شارون" ردي علي أرجوك!

قال رجل عجوز يقف أسفل السلم:

– ما كل هذه الضجة؟

استمر "كونال" في الطرق على الباب دون أن ينتبه إلى ملاحظته.

صعد العجوز السلم وهو يتشبث بالدرابزين.

– كفى يا هذا! إنك تثير ضجة كبيرة بالإضافة إلى أنك تضيع وقتك. توقف قبل أن أستدعي الشرطة.

صاح "كونال":

– أتعرف أين توجد "شارون جراهام"؟

– إنها ليست هنا على أية حال. لقد تركت مسكنها هنا.

تسمر "كونال" في مكانه.

– هذا مستحيل! لقد افترقنا منذ أربع وعشرين ساعة. لا يمكن أن ينتقل أحد من مكانه في هذا الوقت القصير.

اعترف العجوز قائلا:

– لم أقل غير ذلك. ليست هي –على أية حال من نقلت أثاثها. لقد حزمت كل شيء قبل ذهابها إلى الإجازة. تم نقل الأثاث في أثناء

غيابها.

رفض عقل "كونال" قبول هذه المعلومة.

قال بصوت جلي:

– هل لديك المفتاح؟ أريد التأكد بنفسي.

بعد أن تفحص العجوز "كونال" بارتياب أخرج المفتاح من جيبه وتمتم قائلا:

– أنا المالك. يمكنك أن تلقي نظرة إذا وعدتني ألا تتسبب في أي خسائر.. ثم أعد إليّ المفتاح لدى نزولك.

توقع "كونال" أن يجد "شارون" خلف الباب كما لو كان كل هذا مجرد مزحة صغيرة. لكن الصورة التي رآها أمامه أشعرته بالاكتئاب.

كانت الحوائط والنوافذ عارية. لم يعد متبقيا أي أثر لوجود المرأة أو لعطرها الجذاب كما لو كانت لم تعش هنا.

كان صدى خطواته في الشقة الخالية واضحا. ظل "كونال" يفتح ويغلق بعض الدواليب دون أن يجد شيئا. كان التليفون موضوعا في أحد جوانب الحجرة. رفع السماعة. كان الصمت المميت هو الذي يجيبه.

شعر بإحساس الفراغ المطلق وعاد إلى الصالون. تلك الحجرة التي ضايقه سحرها وجاذبيتها في أثناء زيارته الأولى وقد أدرك الآن أنها كانت ملاذا لـ"شارون" حيث تشعر بالأمان من العالم المفتقر إلى الرحمة.

لقد أتت إليه وأخبرته بأنها تريد إنجاب طفل منه. من أين أتاها هذا التأكيد بقدرته على إنجاب هذا الطفل؟ بعد كل أوجه المعاناة

www.elromancia.com

التي قاستها فربما تحركت عواطفه نحوها في الحقيقة. لا يعرف المرء حقيقة ما يدور بذهن الآخرين. كان يجهل على أية حال ما تفكر فيه.

ربما أدركت أن حلمها لن يتحقق أبدا وعزمت على البدء مرة أخرى من الصفر. ذات يوم سيأتي رجل ليجعلها تنجب هذا الطفل ويمنحها السعادة التي تستحقها.

أغمض "كونال" عينيه والألم يعتصره بشدة. قال في قرارة نفسه: دعها وشأنها. لقد عانت بما فيه الكفاية. دعها وشأنها.

*****

سأل "أماريلو" بدهشة:

– رحلت دون أن تترك عنوانها؟

هز "كونال" رأسه.

قال "أماريلو":

– سأذهب بالرغم من ذلك للتحدث مع المالك وأفتش الشقة.

قال "كونال":

– هذا لن يجدي في شيء. إنها لم تترك وراءها أي ورقة. آه! عندما أتذكر دفء هذه الشقة لدى إقامتها فيها..!

تركزت عينا "أماريلو" عليه:

– لا تقلق. لدي وسائل عديدة للعثور على آثارها مثل البنك الذي تتعامل معه مثلا. إنها ستضطر إلى نقل حسابها إلى مكان إقامتها الجديد. نحن نعيش في مجتمع يتداعى تحت الورقة. والورقة تترك آثارا..

تأمل "كونال" قلمه بشكل مقطب:

– لا يمكنني أن أصدق أنها أعدت كل شيء قبل رحيلها من "سوانسا". كانت تعرف ما ستفعله حينما كنا معا.

سأل "أماريلو" –الذي كان يتفحص طرف حذائه–:

– أترى أن أعثر عليها؟

– بالتأكيد.

– فكر جيدا. ربما كان من الأحسن أن تتركها وشأنها.

– هذا مستحيل. ربما تصرفت على هذا النحو من جراء إحساسها بالاكتئاب. لابد أن أعثر عليها بأقصى سرعة ممكنة.

قال "أماريلو":

– حسنا جدا. هل لديك معلومات أخرى تمدني بها؟ أسماء أصدقائها أو أسماء النوادي والمؤسسات التي تنتمي إليها؟

قطب "كونال":

– لا. أخبرتك بكل شيء.

ألقى "أماريلو" نظرة مليئة بالتعقل والرقة على صديقه:

– مفهوم. هل تعلم أنك تحبها؟

رد "كونال":

– نعم، أعلم هذا.

*****

صاح "أماريلو" –وهو يلقي بنفسه على أريكة صالون "كونال"–:

– تبدو شاحب اللون.

– شكرا على المجاملة.

www.elromancia.com

– يبدو أنك لم تنم كثيرا.

– لم أنم مطلقا لكن هذا غير مهم. إلى أين وصلت أبحاثك؟

– المرأة لا تريد أن يعثر عليها أحد يا "كونال". هكذا هو الأمر ببساطة.

– أتحاول أن تخبرني بأنك لم تستطع العثور على "شارون"؟

– لم أقل هذا! سأجدها لكن هذا قد يستغرق وقتا كثيرا.

مرر "كونال" يده على ذقنه الذي لم يحلقه منذ ثلاثة أيام وسأل صديقه:

– ما الذي علمته؟

– أولا لم تغادر أي امرأة "بوسطن" بالطائرة أو القطار أو الأتوبيس في الأسبوع الماضي تحت اسم "شارون جراهام". من ناحية أخرى فإنها لا تمتلك سيارة ولم أجد أثرا لعملية شراء حديثة باسمها. ومن ثم هناك احتمالان: إما أن تكون في "بوسطن" أو أنها رحلت باسم مستعار.

قال "كونال":

– إنها لم تعد في "بوسطن".

– لماذا؟

– إنه الحدس.. المدينة فارغة جدا!

– آه.. هناك شيء آخر: لقد سحبت كل رصيدها من البنك وصدقني إنه مبلغ ضخم؟

– سحبت؟ كيف؟

– سحبت أوراقا من فئة العشرين دولارا في حقيبة على الرغم من اعتراض موظف البنك.

ارتجف "كونال":

– كيف تركها تتصرف مع كل هذا المبلغ السائل؟ الأمر جد خطير!

– إنه مالها. لم يستطع أن يفعل شيئا. وكما أخبرتك كان المبلغ كبيرا وهي تكسب جيدا وتصرف القليل. بالإضافة إلى أنها ورثت من أمها في العام الماضي.

فكر "كونال" في وعد جده "جاك" الذي حرره لـ"كلاريس" والذي قلب حياته رأسا على عقب.

واصل "أماريلو":

– إنها تعيش بشكل جيد. لا تقلق عليها من هذه الناحية. المشكلة هي أن المعاملات التجارية بالمال السائل لا تترك وراءها أي آثار حيث إنها تدفع فواتيرها بهذا الشكل. بالإضافة إلى أنها اتخذت كل احتياطاتها: ووفقا لما قاله مالك الشقة التي كانت تقيم بها إن الرجال الثلاثة الذين قاموا بنقل أثاثها اقتادوا الشاحنة دون أن يتركوا أي اسم..

صاح "كونال":

– لكن يا "أماريلو" لابد أن للشاحنة أثرا.

– الناس كلهم يرتكبون أخطاء و"شارون" مثل الآخرين، يكفي أن تكون صبورا.

– إنك لا تعرف ما تطلبه مني!

اعترض "أماريلو" في قرارة نفسه على ما قاله صديقه الذي يشبه رجلا يحاول العيش بقلب ممزق.

*****

www.elromancia.com

بعد ستة أسابيع من اختفاء "شارون" تلقى "كونال" خطابا بالبريد السريع من "سان فرانسيسكو". كان الخطاب محتويا على شهادة طبية محررة منذ خمسة أيام تؤكد أن "شارون جراهام" حامل منذ ما يقرب من سبعة أسابيع.

تشوشت الكلمات تحت نظرات عينيه بينما انزلقت الورقة من بين يديه.

لقد أحضرت له الدليل على صدقها. لقد كانت حاملا منه منذ عشر سنوات. إنها تحمل الآن طفله. وللمرة الثانية.

قال آمرا سكرتيرته:

- ابحثي حالا عن "اماريلو سميث".

بعد مرور ساعة وجده "اماريلو" جالسا أمام النافذة وهو ممسك بالشهادة الطبية في يده.

قال مستفهما:

- ماذا حدث؟

أعطاه "كونال" الورقة دون أن ينطق بكلمة.

أكد "اماريلو":

- ربما تساعدنا هذه.

- كنت آمل أن تخبرني بهذا. أعتقد أن الطبيب يمكن أن يساعدنا في العثور عليها؟

- أشك. ربما لم تبق بـ"سان فرانسيسكو" إلا فترة الاستشارة.

ثم أضاف -لما رأى الإحباط واضحا على وجه "كونال"-:

- لكنني سأتحقق من كل شي. كما أنني اكتشفت شيئا آخر.

- ماذا؟

- لابد أنها مثل كل الناس وضعت دائرة حول بعض أرقام التليفونات في دليلها أو سطرت أرقاما أخرى بداخل الغلاف. عثرت على تليفون طبيب النساء الذي أتصور أنه لابد أن يتابع ملف حملها الأول بملف حملها التالي. إنها العادة على أية حال. ويمكنك أن تثق بي!

أضاءت ابتسامة وجه "كونال" أخيرا:

- لتبدأ إذن. أما أنا فسآخذ موعدا مع طبيبي.

*****

بعد مرور أربعة أشهر وصل "كونال" أمام منزل صغير في ضاحية "سان دييجو" الهادئة بـ"كاليفورنيا".

ولج الحديقة الصغيرة وطرق على الباب. كان الصمت مسيطرا على المكان من حوله. مرت عدة دقائق قبل أن ينفتح الباب كاشفا عن "شارون" التي جحظت عيناها من الخوف عند رؤيته.

دفعت يد "كونال" الباب المغلق عليها ثم قال:

- مررت بكل البلد من أجل المجيء لرؤيتك. ألن تدعيني للدخول؟

- كلا. لن أدعك تدخل.

لمح "كونال" الزرقة الموجودة تحت عينيها والسحنة المتغيرة للمرأة..

- ولكنني مُصر.

أبعدها برقة ليدخل ورأى في الحال أنها أعادت تأثيث منزلها بـ"بوسطن" بحب. كان الأثاث هو نفس الأثاث لكن كان هناك تمثال جديد لفتاة صغيرة تضم يديها بالقرب من عربة طفل صغيرة وعلبة

www.elromancia.com

كبيرة من الكرتون مزينة بصورة تمثل مهد الطفل وتشغل جانبا من الصالون.

لقد أعادت تأسيس العش.

عقدت "شارون" ذراعيها على بطنها المنتفخ ثم أدركت أن سترتها الواسعة جدا تخفيه. هذا ليس له أي أهمية على أية حال.

– كيف عثرت علي؟

– يا للصعوبة! أنقل إليك إعجاب "أماريلو سميث" وأؤكد لك أن قليلا من الأشخاص يمكنهم التصرف كما تصرفت أنت.

– لست متأكدة من أن هذه مجاملة.

– كيف حالك؟

– بخير.

– أسأل نفسي لماذا لا أصدقك؟

– إنها مشكلتك. هلا انصرفت؟

قال مؤكدا وهو يجلس على أقرب كرسي:

– لا.

لقد ضاعت كل مجهوداتها سدى من أجل ألا يعثر عليها– كانت تدعو من أعماق قلبها ألا يأتي أبدا. إنها لن تستطيع الاعتراف له بالحقيقة. إنها لن تخبره أبدا بأنها تحبه.

أسند "كونال" مرفقيه إلى ذراعي الكرسي وشبك أصابعه.

– لماذا غادرت "سوانسا" دون أن تخبريني؟

– ألم تخمن بعد؟ لأنني سيئة. ألم تطلب من "وينستون لورانس" أن يعد الأواني الفضية؟

– اجلسي يا "شارون". إنك شاحبة.

قالت –وهي تلقي بنفسها على الأريكة–:

– إنني بخير.

كان "كونال" يريد أن يأخذها بين ذراعيه ليواسيها. لكنه كان يخشى أن تطرده. كانت تبدو ضعيفة جدا ومختلة ذهنيا!

– لنعد إلى البداية. لماذا لم تشركيني في خططك؟

– لأنني كنت أعلم أنه لو أصبحت حاملا فإنك سترغب في أخذ الطفل؛ ومن ثم فضلت العيش بعيدا عنك.

من أجل هذا الهدف إذن اتخذت كل احتياطاتها للإعداد لانتقالها من مسكنها إلى مسكن آخر. ثم تغيرت أسبابها مع اكتشاف حبها له. إنها لم تعد تشعر بالقدرة على العيش بالقرب منه بعد الأوقات السعيدة التي قضياها معا. كانت تلزمها عدة أسابيع حتى تشعر بحملها.

أغمض "كونال" عينيه لحظة على معاناتها.

– لكنك مع ذلك أرسلت إلي الشهادة الطبية..

– اعتقدت أنك تستحق أن تعرف قدرتك على الإنجاب.

تركزت عيناه عليها ثم قال لها بصوت قوي:

– أعلم أن الاعتذارات لن تجدي في أي شيء لكنني أرجوك يا "شارون" أن تسامحيني: أعتذر لك لأنني لم أصدقك.

وجهت "شارون" إليه ابتسامة حزينة.

– واليوم تصدقني، لأنك هرولت إلى الطبيب عندما استلمت الشهادة الطبية، أليس كذلك؟

– لم أكن محتاجا لإثبات لكي أصدقك.

سألته –بشيء من الارتياب–:

– وهل ذهبت إلى الطبيب أم لا؟

– ذهبت إليه لكن بهدف أن أتحقق فقط مما قد حدث منذ عشر سنوات. لقد أكد لي أنه لم يقل إلا أن فرصتي في الإنجاب ضعيفة. ليس لدي إلا اعتذار واحد: عندما يقول لك أحد أنه توجد خمس وتسعون فرصة من مائة لكي تمطر فإنك تنسين أن الشمس لديها فرصة بسيطة لكي تسطع..

– لكن ما حدث لم يكن مطرا بل: طفلا!

– أعلم هذا. لكن صدقيني إنني لن أسامح نفسي أبدا ولن يمكنني عمل أي شيء لإصلاح خطئي.

– بلى، يمكنك الرحيل.

قال متنهدا:

– هذا الشيء الوحيد الذي لا يمكنني فعله.

شعرت "شارون" بخوف موحش.

– لن أدعك تأخذ طفلي!

– اهدئي يا "شارون". لن أفعل مثل هذا الشيء أبدا!

– لقد قضيت ستة أشهر في البحث عني. في المرة القادمة سأختفي بشكل أفضل.

– كفى يا "شارون". إنك مريضة.

لم يكن الرجل مخطئا وحاولت المرأة السيطرة على ارتجافاتها. إنها لم تستطع التخلص –منذ ستة أشهر– من الخوف الذي يهز وجدانها في كل لحظة تعيد التفكير في إجهاضها، ذلك الخوف الذي قضى على شجاعتها وطاقتها وأصابها بالشلل.

قال "كونال":

– استمعي إلي جيدا: لكي أثبت لك أنني لا أريد أخذ طفلك فإنني مستعد للتوقيع على أي ورقة تطلبينها.

وضعت المرأة يدها على رأسها. لقد تسبب في تشويش ذهنها بطاقته وحيويته.

قال بدهشة:

– ما سبب شحوبك هكذا؟

– لا أنام بسهولة، هذا كل ما في الأمر.

– ماذا قال طبيبك؟

– قال إنني يجب أن أستريح. لم كل هذه الأسئلة يا "كونال"؟

– أرغب في العناية بك.

– أتشعر بالذنب؟

قال معترفا:

– نعم. لقد تركتك مرة ولن أعيدها مرة أخرى.

– يبدو لي هذا تكفيرا عن ذنب.

– سميه كما تشائين. سواء أردت أم لم تريدي سأتولى العناية بك حتى ميلاد الطفل.

على الرغم من إحساسها بالحب ناحيته إلا أن "شارون" لم تكن متأكدة من قدرتها على الثقة به. ماذا سيحدث إذا لم تستطع الاستغناء عنه وغير هو رأيه؟

استندت إلى المدفأة ومنحت نفسها دقيقة للتفكير. لقد مر الآن الجانب القاسي وقد بدأت الاعتياد على إطار حياتها الجديدة وليست لديها الشجاعة للانتقال من مكانها مرة أخرى قبل ولادة الصغير على أية حال. لكن ماذا سيفعل "كونال" بحياته وأسرته

www.elromancia.com

وأعماله؟

قال هذا الأخير:

– أريد أن ترجعي معي مرة ثانية إلى "بوسطن". ستلقين عناية أفضل هناك.

– وماذا بعد ذلك؟

إنه لن يحتمل أن يفقدها مرة أخرى. لكن راحتها وهدوءها النفسي يأتيان في المقام الأول قبل التزاماته منها.

– أحب أن تبقي بـ"بوسطن".

– بسبب الطفل؟

كانت ستسخر منه إذا كان قد اعترف لها بحبه. إنه لن ينسى أن لديها كل الحق في كرهه.

– نعم. لكن إذا أردت الرجوع إلى هنا بعد الولادة فلن أمنعك.

قالت ساخرة:

– أتعتقد؟ أظن أن آل "ديفريل" أقوياء جدا.

– تعلمين جيدا أن هذا غير صحيح. اسمعي يا "شارون". لا يمكنك البقاء هنا بمفردك الآن. سأفعل كل ما تريدينه: سأؤجر أحدا لمراقبة منزلك في أثناء غيابك أو نضع كل هذا في مستودع الأثاث. لكننا سنبدأ بإيداع أموالك في البنك. فيم كنت تفكرين عندما حصلت على كل هذه الأموال السائلة؟

– أردت الفرار منك.

تراجع خطوة كما لو كانت قد صفعته وتأسفت في الحال على كلامها.

– اتفقنا. أين ستعيش في "بوسطن"؟

– في منزلي.

– مستحيل.

– وعدتك ألا أزعجك.

على الرغم من أنها وجدت صعوبة في تصديقه إلا أن حزمها ضعف. إن العيش بمفردها لا يخيفها. لقد هيأت نفسها لأن تكون الأم العزب ووضعت في ذهنها أن تعمل بالمنزل بعد ولادة صغيرها لصالح بعض العملاء.

لكن الضيق الذي يخنقها ويجعلها تشهد كوابيس مزعجة منذ أن أخبرها الطبيب بأن ولادتها قد تكون عسيرة.

سألت بصوت مرتعد:

– ألن تنتزع طفلي مني؟

– لقد وعدتك.

– وستتركني أذهب إلى حيثما أريد بعد الولادة؟

– نعم. بمجرد أن يؤكد الطبيب لي أنك والطفل في حالة تسمح بالسفر.

تنهدت "شارون" وتساءلت عم إذا كان من الأحسن العيش إلى جانب رجل تحبه وتحمل طفلا منه وهي تعلم أنه لا يحبها وأنهما لن يكونا أسرة أبدا.. أم أن تواجه بمفردها حدثا قد يكون بمثابة الكابوس.

الفصل التاسع

بعد مرور ثلاثة أشهر ظلت مشكلة "شارون" كما هي.

لقد تأكدت بنفسها من الشقة التي تستخدمها في المنزل الفسيح المؤثث على حسب مزاج "كونال". كانت هناك تماثيل جديدة بالإضافة إلى مجموعتها الخاصة بها. كان هناك أيضا طائر صغير من الزجاج الملون يتدلى أمام إحدى النوافذ، هذا إلى جانب السرير الصغير الذي تم شراؤه من "سان ديبجو" ويتواجد بأحد جوانب حجرتها.

على الرغم من أنها كانت تعيش في منزل "كونال" إلا أن المرأة لم تكن تقابله إلا نادرا؛ لأنه يقضي الجزء الأكبر من وقته في مكتبه.

لكن هذا لم يكن يمنع الرجل من محادثتها مرة واحدة على الأقل يوميا سواء في التليفون أو يذهب لرؤيتها. وكان كلامه الدائم هو: كيف حالك؟ وألا تحتاجين إلى شيء؟ وكانت هي الأخرى تجيبه دائما بأنها بخير وأنه لا ينقصها أي شيء أبدا.

هنأت "شارون" نفسها على هذا النظام، ولما كانت لا تراه كثيرا فإن فرصتها في خيانة نفسها والبوح له بحبها تقل كثيرا بالإضافة إلى ذلك كان هذا الموقف يلائم غرورها.

كانت مديرة المنزل والطباخ و"روبرت" المتطفل على "كونال" يعيشون في المنزل أيضا. إن التنزه والقراءة وأعمال "التريكو" والتسوق والسينما هي كافة ما يشغل وقتها عندما لا تبقى جالسة على الكرسي القريب من النافذة لتتأمل السماء والافتتان بالحياة التي

تنمو بداخلها. إن أمنيتها الكبيرة ستتحقق عما قريب. ستصبح أما لطفل صغير.

على الرغم من هذه السعادة التي تشعر بها إلا أنه كان هناك ألم خافت يعذبها. لقد ظنت نفسها قادرة على إخفاء حبها لـ"كونال" في جانب من قلبها، كما توضع الخطابات القديمة في علبة بالدولاب والمرء يعلم أنه يمكنه إخراجها دائما وإعادة قراءتها برقة ولكن إحدى خططها فشلت مرة أخرى.

*****

كانت الساعة تشير إلى منتصف الليل ومازالت "شارون" لا تعرف سبيلا إلى النوم.

لقد اقترب موعد ولادتها ومازالت كوابيس الولادة والإقامة بالمستشفى تطاردها بشدة. كان الدم -في حلمها المزعج- يلمع باللون الأحمر الفاقع وضربات الخنجر تنهال على جسمها. كانت تفضل ألا تنام أبدا وذلك أفضل من معاناة فزع أحلامها.

رتبت وسادات الأريكة لكي تتمكن من القراءة بيسر. عندما طرق أحد على الباب بعد خمس دقائق كانت لاتزال تقرأ في نفس الصفحة.

أجابت وهي تأمل أن ترى "كونال" يدخل عليها:

- نعم.

كان "كونال" عندما يعود متأخرا أحيانا ويرى شعاع الضوء من تحت بابها يمر عليها ليسأل عن أخبارها.

www.elromancia.com

قفز قلبها طربا عندما اقترب منها. إن شهور الحمل التسعة لم تنل من حبها لهذا الرجل.

سألها -وهو يجلس على الطرف الآخر من الأريكة-:

- لماذا لم تنامي؟

- هذا الكتاب يروق لي..

وما إن أحست بضربة في بطنها أضافت:

- ولا يمكنني إيجاد وضع مريح.

- هل يتحرك الطفل على غير العادة؟

دهشت المرأة لأنه يحدثها عن الطفل بشكل مباشر. كان يسألها عادة عن حالها هي فقط.

- آه، نعم! ربما يأخذ حصة في "الآيروبيك"!

كانت المرأة قد لاحظت من فترة أن الصغير يتحرك كثيرا في ظل وجود أبيه أو حتى عندما يحدثها في التليفون. هل يمكنه الإحساس بقربه؟ أو إنه يتفاعل بضربات قلب أمه المحتدمة؟

قال:

- إنه أو إنها تتعجل الخروج.

أجابت بسرعة:

- أعتقد أنه يرغب في ذلك.

سأل "كونال" -دون أن يتخلى عن قناعه المؤدب-:

- ما سبب تأكدك هذا من أن المولود ولد؟

- الحدس. عندما أحدثه أحس بأنه صوت ولد يرد علي.

سأل مستفهما برقة -وكأنه رجل غريب-:

- وماذا يقول؟

- إنه يطمئنني.

لامت نفسها على أنها تحدثت كثيرا. لقد أصبحا بمثابة الغريبين تماما كما كانت تتمنى.

- وعدني بألا يخيفني بالعنكبوت أو الضفادع وأشياء من هذا القبيل..

- أتخشين الضفادع والعنكبوت؟

- نعم. لكنني سأتعلم التحكم في نفسي.

- كم من الوقت يتبقى أمامك؟ أسبوعان؟

- تقريبا.

- أتصور أنك تتعجلين الانتهاء بسرعة.

- نعم. أتعجل وصول الطفل لكن..

لكن شبح المستشفى أصابها بالرعب الشديد.

- لكن ماذا؟

- لا شيء. هل أنت عائد من المكتب؟

- نعم. والآن أجيبي عن سؤالي.

ثم أضاف مصرا وهو يقترب منها:

- ماذا بك؟ أرى زرقة تحت عينيك. لماذا لا تنامين؟ إنك ترهقين جسمك. لابد أن تكوني قادرة على النوم على الرغم من عدم الراحة.

قالت ساخرة -وهي دهشة من الاهتمام الذي يوليها إياه-:

- هل هذا تشخيصك يا دكتور؟

- ليكن كذلك: لا أعلم عما أتحدث لكنني أعلم ما أراه أمامي. لماذا ترفضين أن تخبريني بما يمنعك من النوم؟

www.elromancia.com

– لأن..

مد "كونال" ذراعه حتى لمسها:

– ماذا تفعل؟

– لست متأكدا مما أفعل. أحاول أن أخمن إذا كنت بخير حقا.

– الطبيب قال...

– لا شأن لي بما قاله الطبيب. إن قصتك هي ما تهمني.

فركت "شارون" خدها ثم وضعت يدها على بطنها. لقد عصرت مخها لكي تجد تفسيرا مقبولا لكنها لم تجد شيئا. فرضت الحقيقة نفسها.

– أرى كوابيس.

– بم تتعلق هذه الكوابيس؟

– الولادة.. المستشفى.. هذا يخيفني.

– لكن لماذا؟ إنه من أفضل المستشفيات الأمريكية. يمكنني أن أؤكد لك أنك والمولود ستلقيان أفضل عناية هناك.

قالت بصوت مضطرب:

– أعلم. لكنها نفس..

– نفس ماذا؟

– نفس المستشفى الذي حدث به إجهاضي.

أطبق ذراع "كونال" على كتفيها:

– يا إلهي! أنا متأسف يا "شارون". لم أظن أنك تحملين هذه الفكرة السيئة حتى الآن.

– إنها حماقة، أليس كذلك؟ أعلم جيدا أنه ينبغي ألا أشعر بالخوف لكن..

كان صوتها مكسورا، ودون أن تفهم كيف حدث وجدت نفسها بين ذراعي "كونال" على الرغم من بطنها المنتفخ.

إنه لم يمسكها هكذا منذ فترة طويلة حتى إنها اكتفت بإغلاق عينيها. لكنها لم تعد تستطيع الصمت عن الذكريات الموحشة التي تطاردها في أثناء نومها.

تمتمت قائلة:

– أرى في الكابوس أنني أشعر بالبرد الشديد! أرتعد مثل الورقة برغم كثرة الأغطية. كان الطبيب قد أخبرني بأنني قد أفقد طفلي وأنه سيتم اصطحابي إلى غرفة العمليات. وبما أنهم انشغلوا في هذه الليلة بالحالات الطارئة فقد جعلوني أنتظر في الرواق فترة طويلة. كان الناس يمرون بجانبي دون أن ينظروا إلي كما لو كنت غير موجودة.

أدركت المرأة حينذاك أن الدموع تسيل على وجهها.

– شعرت بأن الجميع يهملني. أحسست بألم شديد! وببرد شديد! كنت أنزف كثيرا!

تمتم "كونال" -وهو يهدهدها بين ذراعيه مثل الطفل الصغير-:

– أيتها الفتاة المسكينة.

– وكل شيء أصبح أبيض. عدا الدم. لم يمد لي أحد يده أو قال لي إن الأمور ستتحسن. ولا أحد.. ولا أحد حدثني عدا الممرض الذي اصطحبني إلى غرفة العمليات.

هدهدها "كونال" حتى هدأت ثم حملها بين ذراعيه واقتادها إلى حجرته.

في هذه الليلة لم تشهد "شارون" أي كوابيس.

www.elromancia.com

فوجئت "شارون" في مساء اليوم التالي على العشاء لما رأت "كونال" ينتظرها في صالة الطعام.

قال مفسرا وهو ينهض ليقدم لها كرسيا:

– تمكنت من إنهاء أعمالي مبكرا.

– إنني مدانة إليك بالاعتذار.

– لا أرى داعيا له.

– لم يكن يجب أن أضايقك بهمومي مساء أمس.

– لقد وعدتك بأن أعتني بك. إنني ألتزم بوعدي دائما.

– شكرا لك بنفس القدر الذي كانت فيه مخاوفي غبية.

أمسك "كونال" يدها:

– إنها ليست غبية على الإطلاق. إنني أفهمها تماما، وأعدك بشيء آخر: لن تشعري بالخوف من الذهاب إلى المستشفى في هذه المرة.

– كيف يمكنك أن تفي لي بهذا الوعد؟

– لن أدعك تشعرين بالخوف.

ثم أضاف لما رأى تعبيراتها الدهشة:

– أنت التي قلت لي: إن آل "ديفريل" أقوياء..

– نعم ولكن..

– ثقي بي يا "شارون".

– يخشى الطبيب أن يقوم بشق بطني لأنه ليس كبيرا حتى يولد الطفل طبيعيا.

تكدر وجه "كونال" لكن صوته ظل هادئا ومطمئنا:

– سأكون قريبا منك يا "شارون" ويمكنك الاعتماد علي.

فضلت المرأة إنهاء هذا الحوار وقضيا معا سهرة رائعة وذهبا للنوم كل واحد في حجرته لقد نامت بلا ألم، لكن كابوسا مزعجا أيقظها في منتصف الليل.

كانت تتصبب عرقا ونزلت من سريرها وأسرعت نحو الرواق دون أن تفكر.

انتظر "كونال" أن ينفتح باب حجرته وأضاء النور. كانت "شارون" -الشاحبة والتي ترتعد كل فرائصها- واقفة على عتبة الحجرة. سألها:

– ماذا بك؟

– أنا.. أنا... رأيت كابوسا آخر. سألت نفسي عم..

رأته المرأة يدفع الأغطية ويبتعد ليفسح لها مكانا على سريره. ذهبت إلى النوم بجواره دون أن تنطق بكلمة واحدة. كان يلزمها بعض الوقت لتأخذ وضعا مريحا بالقرب منه دون أن تلمسه. ثم راحت في سبات عميق. ولم تعد الكوابيس.

في مساء اليوم التالي توقع "كونال" أن يكون أمامها الوقت الكافي لإعداد نفسها لليلة، ثم ذهب إلى حجرتها، وأعادها إلى حجرته دون أدنى تعليق.

في هذه الليلة والليالي التالية نامت المرأة في هدوء، ولم تعد ترى سواه في أحلامها.

*****

كانت تعاني، وتشعر بألم شديد حتى إنها تجد صعوبة في التنفس. إذا كان يمكنها فقط أن تستيقظ وتخرج من هذا الحلم!

www.elromancia.com

– ماذا حدث يا "شارون"؟ هل رأيت حلما مفزعا؟

لم تستطع المرأة أن تجيبه وقد شعرت بأنها مثل المشلولة. تاوهت من شدة الألم. سيتدفق الدم عما قريب.

– "شارون" يا حلوتي إنني بجانبك.

حلوتي.. لقد ناداها بحلوتي" توقعت أن يتلاشى الألم، ثم أرغمت نفسها على فتح عينيها. مال وجه "كونال" القلق عليها:

– أتشعرين بأنك على ما يرام؟

قالت وهي تضع يدها على بطنها الصلب:

– لا.. أعتقد.. أعتقد أنني أوشك على الولادة. إنه ليس حلما.

على الرغم من الخوف الذي اجتاحه استدعى "كونال" "روبرت" والطبيب دون أن يتخلى عن هدوئه الظاهر. ثم استدار نحو "شارون" وأمسك يدها وضمها إلى قلبه.

– ستسير الأمور على خير ما يرام. ثقي بي.

أجابته بدهشة:

– نعم.

ساعدها على ارتداء روبها وحذائها، ولفها بملاءة السرير، وحملها بذراعيه حتى السيارة كما لو كانت ريشة صغيرة. كان "روبرت" ممسكا بعجلة القيادة وجلس "كونال" بالقرب منها في المقعد الخلفي.

حاولت "شارون" –لدى سماع صوته الهادئ والمطمئن– أن تتنفس بشكل منتظم في أثناء الطلق كما تعلمت في حصص الولادة بلا

ألم. لكن بدا لها أن وجود "كونال" –على وجه الخصوص– يخفف قليلا آلامها.

لم يكن يلزمها وقت طويل للوصول إلى المستشفى. على الرغم من انتظار مساعدي التمريض، إلا أن "كونال" هو الذي وضعها على النقالة، ومشى بجانبها حتى غرفة العمليات دون أن يترك يدها.

ركزت "شارون" على صوته وضغط يده. عندما نصحها بإغماض عينيها؛ لأن الضوء شديد، أطاعته. عندما قال لها أن تتحمل لأن الأمر برمته سينتهي عن قريب، صدقته. عندما ثار لأن شخصا حاول منعه من دخول غرفة العمليات، أعجبت بحزمه.

حاولت الممرضة أن تطمئنها وتهنئها على شجاعتها. لكنها لم تصدقها عندما أخبرها "كونال" بنفس الكلام منذ بضع دقائق كانت تعلم أنه يقول الحقيقة.

ظل صوت "كونال" يساندها على الدوام. وعما قريب ستمسك ولدها الصغير بين ذراعيها.

*****

استيقظت "شارون" في غرفة مملوءة بكل ألوان قوس قزح. فركت عينيها لما ظنت أنها ترى حلما. كانت بالونات متعددة الألوان. تموج في السقف والحجرة تعج بباقات الزهور. إنها تحس بأنها نقلت إلى بلد السحر في أثناء نومها.

قال "كونال" –السعيد الواقف إلى جوارها–:

www.elromancia.com

– نهارك سعيد.

سألته وهي تمرر لسانها على شفتيها الجافتين–:

– في أي مكان أكون؟

– في حجرتك بالمستشفى.

صمتت من فرط دهشتها ولم تعرف بماذا تجيبه ثم تذكرت:

– طفلي!

قال "كونال":

– إنه بخير.

بينما كان يمرر يده خلف عنق المرأة ليساعدها على شرب كوب من الماء تمتم قائلا:

– أتذكر أنني أمسكته بين ذراعي. إنه صغير جدا! لكنه مدهش!

تركزت نظرات "شارون" على "كونال". لم تعد تفكر إلا في موقفه. إنه تحدث عن الطفل بصوت هادئ.

– متى يمكنني رؤيته؟

– قريبا.

– أيمكنني الجلوس قليلا؟

قال "كونال" –وهو يضغط على زر–:

– نعم.

ارتفعت مقدمة السرير ببطء ولمحت فيلا صغيرا وضفدعا أزرق وزرافة صفراء مشوبة باللون البني في جانب من الحجرة.

– هل أنت الذي أحضرت هذا؟

– نعم.. مررت على محل الهدايا الذي يوجد بجانبنا و..

سألته المرأة التي بدأ ذهنها يفيق:

– متى؟

– إنني....

– إنك لم تتركني. بالإضافة إلى أنه لا يوجد محل بجانبنا.. لقد دبرت كل شيء..

– هذا يعني...

– شكرا يا "كونال".

– شكرا على ماذا؟

– على كل شيء. لقد التزمت بوعدك. لم أحس بأنني وحيدة أبدا ولم أشعر بالخوف أو البرد.

– هذا أمر طبيعي. أتريدين أن أطلب من الممرضة أن تحضر لك المولود؟

– أه، نعم. لم يعد يمكنني الانتظار.

قال –وهو يتجه ناحية الباب–:

– سأذهب.

– انتظر!

تسمر "كونال" في مكانه.

– ستعود، أليس كذلك؟

– كنت أنوي العودة إلى المنزل لأغير ملابسي.

– لكنك ستعود؟ يمكنك رؤية الطفل.

– سأعود إذا كنت ترغبين في ذلك.

– عد يا "كونال".

قال بعد فترة تردد قصيرة:

www.elromancia.com

– سيسألونك عن الاسم الذي تتمنين تسمية الطفل به. هل اخترته؟

– فكرت في "كلاريس" إذا كانت بنتا وفي "چاكوب" إذا كان ولدا.

– والآن لديك ولد؟

– أعتقد أن "چاكوب" يناسب بالفعل.

أضاء وميض خاطف من السعادة وجه "كونال".

– ولقب العائلة؟

قالت –وهي متحيرة قليلا من سؤاله–:

– "جراهام".

– حسنا جدا. ساستدعي الممرضة.

*****

مر اسبوع على عودة "شارون" و"چاكوب" إلى المنزل عندما حاصر الضيق "كونال". لقد استشاط غضبه بعد هذه المدة استعادت المرأة قوتها. عما قريب ستظهر الرغبة في الانصراف.

لم يكن "كونال" يعرف إذا كان يمكنه أن يعيش حتى يرى ذلك اليوم الذي سيحدث فيه ذلك.

لقد فعل كل شيء من أجل ألا يقلقها بخصوص نواياه نحو الطفل.

لكنه يجد صعوبة في إخفاء مشاعره. كان قلبه يذوب في كل مرة يرى فيها الولد الصغير. إنه لم يشهد أي شيء ثمين وعطوف وساحر هكذا. كان يود الصياح بأعلى صوته قائلا: إنه والد

أجمل طفل في العالم ويمسكه بين ذراعيه ويحدثه ويداعبه. كان يود أن يشتري له ألعابا كثيرة. لكنه لم يفعل أي شيء من هذا كله.

إذا ظلت "شارون" متشككة إزاء مشاعره ناحية الطفل فإنه لن يستطيع أبدا إقناعها بأنه يحبها وبأنه كان قد بدأ البحث عنها قبل أن يعلم أنها حامل.

لما كان راغبا في ألا يضغط عليها بأي طريقة إلا أنه اتخذ قرارا: إنه لن يتركها ترحل دون أن يتناقشا.

جالت بخاطره فكرة تتيح له الاحتفاظ بها إلى جواره فترة طويلة وتمنحه وقتا ليحاول إقناعها بألا تتركه أبدا. لكن كان ينبغي أن تقبل مبدأها.

*****

سألت "شارون" –بعد عدة أيام وهي تلقي نظرة على "چاكوب" النائم في سريره–:

– "سوانسا"؟ تريد أن نذهب إلى "سوانسا"؟

– أوكد لك أن الرحلة لن تتعبك. أرى أنك ستستعيدين شفاءك بسرعة. الهدوء والخدم تحت أمرك، كل هذه الأشياء موجودة هناك.

– وموجودة هنا أيضا!

– نعم. لكن "سوانسا" أفضل لك ولـ"چاكوب".. بل أفضل لنا نحن الثلاثة.

ألم تنبت بذرته هناك؟ من الطبيعي أن يذهب إلى هناك مرة واحدة

قبل..

غضب "كونال" من نفسه لأنه تذكر احتمال رحيل المرأة ثم أضاف:

– سيريحني الذهاب إلى هناك حقيقة.

هذه الحجة ستقضي على قرار "شارون".

كانت "شارون" تراه منذ فترة شاحب اللون ومتوترا وتساءلت عم إذا كان قد ضاق ذرعا بها وبـ"چاكوب". لكن طالما اقترح عليها الذهاب إلى "سوانسا" معا فإنها ستكون حمقاء إذا لم تغتنم هذه الفرصة لاسيما وان الأيام المتبقية أمامها لتعيشها بالقرب منه معدودة. قالت:

– إنها فكرة طيبة. هيا بنا.

– ساعتني بكل شيء. أوه، لدي شيء لك.

أخرج علبة صغيرة من جيبه وأعطاها إياها.

سألته "شارون" –وهي تشعر بالإثارة–:

– هدية لـ"چاكوب"؟

– لا، لا. إنها من أجلك.

بعد أن ألقت نظرة مدهشة بادرت المرأة بفك العلبة الصغيرة التي تحتوي على تمثال صغير من الخزف لولد صغير وضفدع يتبادلان النظرات.

– إنه رائع!

– أعلم أن "چاكوب" وعدك بألا يخيفك بالعنكبوت والضفادع لكن هذا لن يمنعه من اللعب معها.

كانت المرأة سعيدة جدا بموقفه هذا ولا تدري كيف تعبر عنه

بالكلمات اكتفت بأن تدع قلبها يتكلم:

– شكرا.

أجابها بنبرة عطف:

– لا عليك.

www.elromancia.com

الفصل العاشر

كانت السيارة التي تقل "شارون" و"كونال" و"چاكوب" -تسير في الطريق المؤدي إلى "سوانسا" وقد مالت المرأة للأمام لتنظر إلى المنزل الكبير الذي كان قد أثار أحاسيسها.

أقسمت "شارون" أن "سوانسا" ستسعد بقدومهم. لما أعادت التفكير في المنظر الحزين للمنزل في ليلة هروبها قبل عدة أشهر تساءلت المرأة عم إذا لم يكن هذا المنزل قد عرف قبلها أن صغير "ديفريل" قد وضعت بذوره الأولى بين حوائطه. ثم هزت رأسها لتخلص نفسها من هذه الفكرة الغريبة.

قال "كونال":

- أوه، كلا! أقسم لك إنني لم أكن أعلم شيئا عن هذا.

سألته -قبل أن تدرك بنفسها-:

- ماذا حدث؟.. الخدم جميعهم مصطفُّون على السلم.

كان "وينستون لورانس" واقفا أمامهم. جميعا وهو يبتسم ابتسامة مشرقة.

تمتمت المرأة:

- إنه حرس شرف لـ"چاكوب". من أخبرهم؟

قال "كونال":

- أخشى أن أكون أنا المذنب. اتصلت بهم لأطلب منهم أن يعدوا سريرا. كان يمكننا حقيقة عمل سرير صغير له في درج المكتب، لكنني لا أعتقد أنه لم يكن في إمكاننا إخفاء وجوده عنهم كثيرا!

تنهدت قائلة:

- إنهم سينادونه من الآن "السيد الصغير"..

ارتسمت ابتسامة جميلة على شفتيها وتأهبت للخروج من السيارة.

دار "كونال" حول السيارة ليفتح لها الباب ثم نزلت وهي تحمل الصغير بين ذراعيها.

أخذ "وينستون لورانس" خطوة إلى الأمام وانحنى ليحييها:

- إننا سعداء ويشرفنا وجودك بيننا مرة أخرى يا آنسة "جراهام". كما أن وجود السيد الصغير يشعرنا بالبهجة. إنه حقا يوم مدهش.

كتم "كونال" ضحكة كادت تفلت منه، بينما ألقت هي عليه نظرة قاسية.

واصل كبير الخدم حديثه دون أن يدرك إشاراتهما:

- الجد الأكبر للطفل "چاكوب" كان سيشعر بالفخر!

همست "شارون":

- شكرا على استقبالك. أيمكننا أن نصعد الآن إلى شقتنا؟ الرحلة.... الصغير....

- مفهوم بالتأكيد. "بيتر"، "ويليام"، "چينفير"!

أسرع الثلاثة بالقيام بعملهم المنتظر منهم. كان يجب أن يعطيهم "كونال" التعليمات مقدما. وضعت حقائبه في الحجرة اليسرى مثلما حدث في المرة الأولى وحقائب "شارون" في الحجرة اليمنى.

سألها -بعد أن جلست على أريكة الصالون، وأنامت الطفل في

www.elromancia.com

سريره-:

- هل أنت على ما يرام؟

- نعم.

- إذا كنت قد تضايقت قليلا من موقفهم..

- تضايقت؟.. على العكس إنهم أناس طيبون.

صمتت لحظة قبل أن تضيف:

- بل إنني أحتفظ لهم بمفاجأة صغيرة: سأطلب منهم أن يعدو لي مثلجات بالشوكولاتة.

ضحك "كونال" كثيرا على كلامها.

*****

ومرت الأيام. كلما كان جسدها يستعيد حالته، ضعف عزم "شارون" إنها لم تعد تستطيع التركيز بشكل واضح على خططها للمستقبل. لما كانت تشعر بنوع من عدم الاستقرار فإنها قد أخرت التفكير في الرحيل إلى "سان دييجو" مع الصغير "چاكوب"، وأرجعت افتقارها إلى الشجاعة إلى عدم توازنها الطبيعي من جراء ولادة الطفل.

هناك عنصر جديد أصاب ذهنها بالاضطراب. كان واضحا أن "كونال" لم يغير موقفه. إنه يعتني بها بشكل لم يفعله أحد من قبل ويتأكد باستمرار من أنها والصغير لا ينقصهما شيء. يوجد حدس غريب يسمح له بالتواجد دائما في الوقت المناسب: لم يعد لديها الوقت للإحساس بالوحدة أو الاكتئاب.

لكنها مع ذلك كانت تشعر بتوتره كما لو كان ينتظر حدوث

شيء. هل ينتظر رحيلها؟

وفي ذات يوم، دهشت عندما رأته في حجرتها وهو يميل على سرير الطفل النائم، ووجهه يشع حبا وإعجابا، وأدركت على الفور أنها مخطئة.

إن إطالتها للوقت الذي تقضيه بالقرب منه تجعله يزداد تعلقا بابنه. إن تعبيرات وجهه -التي تتخذ شكل البرود وعدم الاهتمام- ليست إلا وسيلة للدفاع.

أحست المرأة بالحيرة التامة. لقد نما حبها لـ"كونال" مع مولد "چاكوب" وباتت مقتنعة بأنه سيكون أبا رائعا. لكن لا يمكنها البقاء معه لأنه يرغب في العيش مع طفله. ينبغي أن تتركه. وبأقصى سرعة.

أغلقت باب حجرتها برقة، وخرجت لتقوم بنزهة طويلة على الشاطئ. لم يعد متبقيا أمامها إلا اختيار أفضل وسيلة للتطرق إلى مشكلة رحيلها مع "كونال"، وإيجاد الشجاعة للوصول إلى تكملة الحوار معه.

كانت تتأمل الشاطئ عندما جذب انتباهها شخص تعرفه: إنه "أماريلو سميث" الذي يمتطي حصانا.

أخبرت المرأة "كونال" بوجود "أماريلو" لدى تناولهما العشاء في جناحهما.

- لم أكن أعرف أنه هنا. لست مندهشا فإن خيوله موجودة في اصطبل بـ"سوانسا". إنه يأتي ليمتطيها مثلي عندما يكون لديه يوم أو يومان إجازة. لديه أيضا غرفة في الطابق الرابع. سأذهب لتحيته.

- أتعتقد أنه بمفرده؟

– إنه لا يصطحب أحدا أبدا إلى هنا. إن "فرانكو" وهو قريبان من بعضهما جدا وأنا أعتبره صديقا لكنه وحيد في الحقيقة. إنه يخرج مع نساء جميلات لكن هذا لا يستمر وقتا طويلا.

– هل أخبرك أحد من قبل بأنك ولدت للعناية بالآخرين؟

– أتسخرين مني؟

– مطلقا. لكنني حالة نموذجية بالنسبة لك: المرأة الضائعة التي يجب حمايتها بأي ثمن.

– قلت لك إنني ساعتني بك.

– وقد فعلت. لن يمكنني شكرك بالقدر الكافي.

لقد حانت لحظة استجماع كل قوتها وعزمها. صمت "كونال" لما كان يدرك ما ستقوله. لقد كان يفضل حتى هذه اللحظة أن يتجنب المواجهة حتى لا يحطم هدوءها الهش. لكنه يتعجل الآن الانتهاء من هذا الأمر والتحرر من هذا الهم الذي يخنقه.

– لست محتاجا لعرفانك بالجميل يا "شارون".

– لكنك تستحقه.

كان "كونال" ينتظر أن تواصل حديثها كالعادة.

– أعتقد يا "كونال" أنه حان وقت رحيلي مع "جاكوب".

– أتعتقدين هذا؟

– نعم. لقد أزعجتك بما يكفي. لابد أن تعيد مواصلة حياتك.. ونحن أيضا كذلك.

سألها –دون أن يتوصل إلى إخفاء حالة ضيقه الشديد:

– هل أنت متأكدة من ذلك؟

– وماذا عنك أنت؟

– لا.

ألقت عليه نظرة دهشة حينما مال عليها قائلا:

– "شارون"، أريد أن تشاركيني حياتي. أريد أن أتزوجك.

تلعثمت –وهي دهشة من اقتراحه–:

– تتز... .تتزوجني؟

لقد توقعت كل شيء عدا هذا. لكن مع ذلك كان هذا منطقيا: إنه يريد "جاكوب".

– أعلم جيدا أنك لن تصدقيني لكنني أحبك يا "شارون".

ابتلعت المرأة ريقها. لا يوجد أسوأ من أن تراه يعرض الشيء الذي ترغبه كثيرا لأسباب غير حقيقية.

– حقيقة يا "كونال" لا يمكنني تصديقك.. أنت تحبني...

– كيف يمكنني أن أقنعك؟

– حاول أن تفهمني يا "كونال". كنت رائعا في الشهور الأخيرة، هذا صحيح. لكنك تخليت عني منذ عشر سنوات. كيف تريد ألا أفسر تغير موقفك ناحيتي بسبب وجود جاكوب"؟ لديك كل شيء عدا الابن.

– وأنت يا "شارون". ليس لدي "شارون".

على الرغم من رغبتها الشديدة في تصديقه إلا أنها أكدت:

– إنك تقول هذا لأنه لا يمكنك أن تحتفظ بـ"جاكوب" بدوني.

– غير صحيح!

– لا يمكنك الاحتفاظ بـ"جاكوب" بمفرده.

قطب "كونال":

– ليس هذا ما كنت أقصده. لقد وعدتك بألا آخذ ابنك ولن

www.elromancia.com

أفعل أبدا. طلبت منك أن تتزوجيني لسبب واحد وهو أنني أحبك. أدركت بالفعل أنني أحببتك قبل أن ترسلي إلي الشهادة الطبية.

– سألت نفسي عن سبب عدم إخبارك لي بهذا قبل ذلك.

– لأنك لم تكوني في حالة تسمح بالتفاهم عندما عثرت عليك. وكذلك عند ميلاد "چاكوب".

ثم بادر بقوله قبل أن تتمكن من الكلام:

– هذا صحيح. أحب أن أصبح والد "چاكوب". لقد أحببته في اللحظة التي وقعت عيناي فيها عليه. لكنني لم أكن سأطلب منك الزواج لو لم أكن قد أحببتك أكثر من أي شيء في العالم. لم أكن سأفرض على نفسينا مثل هذا الشيء.

كانت "شارون" تبحث عن حجة قوية للدفاع عن نفسها وقد اهتزت من منطقه الرشيد.

– وإذا كنت أنا التي لا ترغب في فرض هذا علينا؟

– ماذا تقصدين؟

– إذا لم أكن أحبك؟

ظن "كونال" أنه تلقى لكمة قوية في قلبه. اعتدل على كرسيه وتفحصها بنظراته. لقد اتضح السبب الحقيقي الذي لم يكف عن رفض طلبه للزواج: منذ البداية وهو يخشى هذا الرفض.

– لا يمكنني الرد بدلا منك. إنني أرى الأمور من وجهة نظري. إنني أحبك جدا وأتمنى شيئا واحدا: تكوين أسرة معك ومع "چاكوب".

– لكن..

لملم "كونال" كل إرادته وقوته لينطق ببعض الكلمات التي تشير إلى الأمل والحب اللذين يشعر بهما.

– أصغي إلي يا "شارون". لدينا كل شيء لكي نكون سعيدين. لقد قضينا أوقاتا رائعة معا. أحببنا "چاكوب" ونريد أن نمنحه كل ما يفيده. عليك أن تقرري إذا كان هذا يكفي لتكوين علاقة ستستمر مدى الحياة. لقد قلت كل الحقيقة. إذا تزوجنا فسيستمر زواجنا إلى آخر العمر.

تلعثمت "شارون" على الرغم من أنه أوضح لها كل الأسئلة التي طرحتها على نفسها.

– أحتاج.. أحتاج مهلة للتفكير.

– اتفقنا ولكن قرري بسرعة.

*****

بدا منزل "سوانسا" مستاء و"شارون" الجالسة على الأرض الخضراء تتساءل عم إذا كانت تحلم أو أنها توشك أن تصبح مجنونة.

يكاد رأسها ينفجر بعد أربع وعشرين ساعة قضتها في التفكير اصطحبت "چاكوب" معها لتشم الهواء النقي في حين ذهب "كونال" إلى حمام السباحة.

إن "سوانسا" حزين بلاشك؛ لأنها تنوي الرحيل مرة أخرى مع ابنها.

تنهدت المرأة تنهيدة عميقة وقد عزمت على اتخاذ قرارها.

على الرغم من إنكار "كونال" إلا أنها تخشى أنه يحب الطفل وليس هي. لقد لامته في ليلة أمس على موقفه في الماضي وهي تدرك

www.elromancia.com

تماما أنها لم تعد نفس المرأة التي كانت منذ عشر سنوات. لماذا ترفض أنه هو الآخر قد تغير؟

لقد أوفى بكل عهوده منذ البداية ورعاها بكل رقة تجاوزت كل ما كانت تتوقعه.

وفي النهاية لابد أن تعترف ببعض الأمور: إنها تحبه وتثق به وتحلم بقضاء بقية أيامها بالقرب منه.

ألقت ابتسامة مشرقة على "چاكوب" الذي كان مبتسما وقالت له:

– خمن يا حبي. عقدت أمك الأمور كلها. إنها ستتزوج أباك هل توافق؟

ازدادت ابتسامة "چاكوب" وحرك قدميه.

– أتصور أنك تبدي استحسانك.

تحول انتباهها إلى صهيل حصان. كان "أماريلو" متوجها نحوها كانت "شارون" تشعر بأحاسيس مختلفة ناحيته: فمن ناحية تشعر بالضيق منه لأنه تعقبها واصطادها مثل الحيوان المتوحش بصبر ودقة مخيفين. ومن ناحية أخرى فإنها تدين له بالفضل لأنه عثر عليها.

على الرغم من أنه أوقف حصانه بعيدا إلا أن هذا لم يمنعها من أخذ طفلها بين ذراعيها وضمته إلى قلبها.

حياها "أماريلو" برأسه:

– أتأخذين حماما شمسيا؟

– نعم، وأنت؟ هل ستبقى هنا فترة طويلة؟

– لا، للأسف. سأرحل إلى "بوسطن" مرة أخرى بعد ظهر اليوم.

إنني مسرور لأنني تمكنت من محادثتك قبل رحيلي.

– آه.، هل هناك أي شيء؟

– لقد قلته لـ"كونال" قبل ذلك لكنني أود أن تعرفيه أنت أيضا. يسعدني أن أراكما معا.

تأهبت "شارون" لتوضح له أنهما غير ذلك لكنه لم يمنحها الفرصة.

– كان محطما تماما عندما اختفيت. لم أر رجلا عاشقا لامرأة مثله أبدا!

ثم أضاف –ونظرة مكر في عينيه–:

– ربما عدا "فرانكو". لقد عانى "كونال" حقيقة. ثم ما إن وصلت هذه الشهادة الطبية..

– تقصد أنه كان يحبني قبل أن يتسلم الشهادة؟

– بالتأكيد! إنني سعيد حقا لأنني جمعت بينكما. بالإضافة إلى أنكما أنجبتما "چاكوب"...

ألقى عليها تحية بإشارة من يده كما لو كانت هذه الجملة الأخيرة توضح كل شيء.

– إلى اللقاء يا "شارون".

لقد أعطاها "أماريلو" الدليل الذي لا يجعلها تخطئ في اتخاذها قرارها، لكن المرأة كانت سعيدة لأنها حصلت عليه قبل أن يتحدث إليها.

*****

صاح "كونال" بصوت قلق:

www.elromancia.com

– "شارون" ! أين كنت؟

لقد عادت "شارون" إلى المنزل وهي تشعر بموجة كبيرة من السعادة وتتلهف لإخباره بقرارها.

قالت –وهي تلمح الشحوب البادي على وجه "كونال"–:

– ذهبت لآخذ حماما شمسيا مع "چاكوب". هل شعرت بالقلق؟

– شعرت بالقلق! وجدت حجرتك خاوية عند عودتي من حمام السباحة. ظننت أنني لن أراك مثلما حدث قبل ذلك.

مدت "شارون" يدها إليه:

– سامحني يا "كونال". إذا خمنت أنك كنت ستشعر بالقلق لكنت قد تركت لك ورقة صغيرة.

– "شارون" يجب أن نتحدث.

– اتفقنا. لدي شيء أود قوله لك. أعطني دقيقة واحدة حتى ينام "چاكوب".

– انتظري.

مال الرجل ليضع قبلة حانية على جبهة ابنه الذي فتح عينيه وابتسم له.

همست "شارون" –التي تأثرت بالقبلة والابتسامة في وقت واحد واضطربت من النظرة المفعمة بالتحدي التي ألقاها "كونال" عليها:

– لن يستغرق هذا مني فترة طويلة.

عندما لحقت به بعد عدة لحظات كان يتأمل المحيط.

قالت –لتبدأ الحديث–:

– "كونال"..

– لا يا "شارون" سأتكلم أنا أولا.

قالت –وهي تخشى أن يغير رأيه–:

– حسنا جدا.

– بالأمس وضعت كل أوراقي على المنضدة عندما طلبت منك الزواج. قلت لنفسي حينذاك إنني قد فعلت كل ما في وسعي وإذا أظهرت الرغبة في العودة إلى "سان دييجو" فسأتركك ترحلين. لكن هذا مستحيل. أدركت هذا حينما عدت وظننت لعدة دقائق مرعبة أنك رحلت مرة أخرى.

شعرت المرأة بالارتياح. لابد أن تطمئنه في الحال. لقد عانى الكثير. وهي أيضا.

– لا تقل أي شيء آخر يا "كونال". أصغ إليّ.

صاح –بنبرة ساخطة وهو يمسك بذراعها–:

– لا! جاء دورك لتستمعي إلي. لابد أن تتزوجيني يا "شارون". قولي لي: إنك ستتزوجينني. قولي لي إنك تحبينني.

قالت برقة:

– أحبك. سأتزوجك ولن نفترق أبدا.

– هل أنت متأكدة من ذلك؟

– متأكدة. هذا ما حاولت أن أخبرك به. لم أعد أريد أن أفقدك أبدا.

منحها "كونال" قبلة رقيقة على خدها.

تمتمت المرأة:

– يجب أن تشكر جدك "چاك". إذا لم أرث وعده لـ"كلاريس" ما كنت قد أتيت إليك.

– هذا صحيح. سأظل ممتنا له طوال حياتي. وأعدك بأن أحبك حتى آخر يوم في عمري.

سالت دموع الفرحة من عيني "شارون" عندما رفعها "كونال" بين ذراعيه وحملها إلى غرفته وقد تركا الباب مواربا حتى يسمعا طفلهما في حالة استيقاظه.

*****

ظل "سوانسا" البيت الذي تكسوه السعادة في كافة جوانبه.

هناك فرد جديد من آل "ديفريل" ينام تحت سقفه وبين حوائطه.

سيجتمع كل آل "ديفريل" عما قريب ليحتفلوا بقدومه بينهم.

ستمر السنون. سيصبح الطفل رجلا والذي سينجب بدوره طفلا يحبه ويحميه. ويستمر الإرث.

تمّت بعون الله

www.elmanara.com